# العربية: الثابت والمتحول بين السابق واللاحق
## "دلالة الكلمة العربية أنموذجاً"

د. مهدي أسعد عرار
جامعة بيرزيت- فلسطين

**مِهادٌ وتأسيسٌ:**

عنّ لي وأنا أمسكُ عنانَ القلم عن كتابة بحثٍ لي قُبِل للنّشر في مجلّة "مجمع اللّغة العربيّة الأردني" أنْ أستكملَه بأبحاث أخرى تجلّي ما كان البحثُ مضمارَه، وكنتُ قد وسمتُه بـ: "أثرُ استشراف التّطوّر الدّلاليّ في فهم النص القرآنيّ: أمثلةٌ جزئية ومقولاتٌ كلّيّةٌ" (١)، ثم ارتضيتُ أنْ أوسّعَ دائرةَ البحثِ ذاك ببحثٍ آخرَ ذي لُحْمةٍ ونسبٍ حميمٍ بالأول، لأنتقل بها من التّنزيلِ العزيز إلى الحديثِ الشّريف، فكان ذلك ودفعتُ به للنّشر، ثمّ قفز في النفسِ خاطرٌ مفادُه أنْ أستصفي مُثُلاً مُبينةً عن أثرِ استشراف التّطور الدّلاليّ في فهمِ المتعيّنِ من نصوص العربيّةِ المعمَّرة المتقادمة في المعجم العربيّ، فاستجدتُه، وتلقفتُهُ بقبولٍ حسنٍ أفضى إلى أنْ يكونَ هذا البحثُ كثالثة الأثافيّ.

وقد كان من محصولِ هذا المتقدّم بيانُهُ وقوفي عند مُثُل من ثلاث قُرَح: من كلامِ ربِّ النّاس، ونبيِّ النّاس، وكلام الناس، وقد ألفيتُ في وقفاتي تلكم ألفاظاً منزاحةً عن دلالتها المتقادمة، وقدْ غدا من المحظورِ المُستهجَنِ أنْ يفهمَها اللاّحق

---

١. مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٦٨، ٢٠٠٥م، وقد عرج فيه الباحث على كلمات يفهمها اللاحق فهما مغايراً للمتعين من معناها؛ وذلك نحو الركض، والسعي، والفتنة، وغير ذلك.

فهمــاً دلاليّاً معاصراً ظانّاً أنّ تلكم الألفاظَ المتقادمةَ كانت تعني عندَ السّابق ما تعنيه الــيومَ، إذ إنّ تراخياً بين اللفظ ودلالته قد وقع، كان ورودُ السّابق على نصّ اللاّحق ممــا ينتــسبُ إلى المحال، فتلك أمّةٌ قد خلتْ لها ما كسبتْ، دلاليّاً، ولمّا كان ورودُ اللاّحــق على نصّ السّابق متحقّقاً قريبَ المبتغى؛ إذ إن فينا قرآناً كريماً شريفاً يتلى آناءَ اللّيل وأطرافَ النّهار، وفينا أحاديثَ الرّسولِ الكريم صلّى الله عليه وسلّم، وفينا مــصنّفات تراثيّةً متقادمة معمّرةً كثيرة كثيرة- لمّا كان كذلك – آثرتُ في وجهتي التي ولّيْتُ قلمي شطرَها أنْ يكونَ ذلكم الدّرسُ تطبيقيّاً، فجعلتُ المثلَ المصطفاةَ من المعجمِ العربيّ مَورداً لطلبتي لأغراضٍ في النفس شتّى، ومنها ما كان:

- تبييناً لمدى استشرافِهم التطوّر الدّلاليّ أوّلاً.
- وتجلــيةً لواقــع تغيــيبِ التّطوّر الدّلاليّ في فهمِ السّابق وأثرِه في التّجافي عن المقصدِ الذي رمى إليه ثانياً.
- وتوصيفاً تطبيقيّا لهذا الإشكالِ الموسوم بـــ "بينَ السّابقِ واللاّحقِ في فهمِ النّص".

**بين السّابق واللاّحق:**

مِــن المُقرّرِ المُستحْكِم أنّ ظاهرةَ التطوّر اللّغويّ عامّةً، والدّلاليّ خاصّةً، نافــذةُ الفعــلِ فــي اللّغــة، ويتجلّى ذلك في مُستوياتِ اللغة: الصّوتيّ، والصّرفيّ، والتركيبــيّ، والمعجمــيّ والأسلوبيّ، والحقّ أنّ هذا الميدانَ؛ ميدانَ التطوّر اللّغويّ

مازالَ بكراً لم تقم عليه دراساتٌ وافيةٌ تُجلّه وتبيّن مظاهرَه في مستوياتِ العربية[٢] ، وموضـــعُ المبَاحثةِ في هذه الورقةِ قائمٌ على ملحظٍ له خطرهُ في تلقّي نصّ السّابق والوقوفِ على مقاصده ورسوم تعابيره، والحقّ أنّ النّاظرَ في المُعْجماتِ العربيةِ يجدُ بـــينَ كثيرٍ من الألفاظِ ودِلالاتها تراخياً جليًّا، ولا يُنْسى أنّ كثيراً من أَلفاظِ العربيّةِ المُعمّرةِ مُتداولَةٌ، وقد خضعتْ لناموسِ التّطوّر، فانزاحتْ بعضُ الألفاظِ عن دلالاتها قليلاً، وتراخَتْ أُخرى إلى حدِّ الإيهامِ دونَ الإحكامِ، وقدْ كانَ من شأن هذا الذي تقدَّم أَنْ يُعقـــبَ التباســـاً وغموضاً في بعض المواقف الكلاميّة، كأنْ يفهمَ اللّاحقُ ألفاظَ السّابقِ كَما يفهمُها في عصرِه ظانًّا أنّ تلكم الألفاظَ المُتقادمةَ كانت تعني عندَ السّابقِ ما تَعْنيه عندَ اللاّحق، فكثيرٌ منّا يَوْهمون إذْ يظنُّون أنّ بعض الألفاظِ المتقادمةِ كانت تعني أمسِ ما تعنيه اليومَ.

والحقّ أنّ للتطوّر الدّلاليِّ بواعثَ مخصوصةً وأعراضاً، فدلالاتُ الألفاظِ في حـــركة دائمـــة، فمـــنْ تعميمٍ إلى تخصيصٍ إلى رقيٍّ إلى انحطاطٍ، وتفعلُ بواعثُ مخـــصوصةٌ أدواراً تُفضي إلى تطوّرِ دِلالاتِ الألفاظِ، ومن ذلك الأدوارُ الاجتماعيةُ والتّاريخيةُ والنّفسيّةُ وكثرةُ التداولِ والحاجةُ وتطوّرُ المُجتمع، ثم إنّها وسيلةُ التفكيرِ وأداتُه، والفكرُ في حركةٍ دائبةٍ مُتوثّبةٍ، وما يجري على الفكرِ يجري على اللّغةِ.

---

٢. للوقـــوف علـــى الأبحـــاث التي عنيت باستشراف التحول في المستوى التركيبي انظر: نهاد الموســـى، اللغـــة العـــربية بين الثبوت والتحول : مثل من ظاهرة الإضافة، حوليات الجامعة التونـــسية، ع١٣ ، ١٩٧٦م، ٧-٥٥، ومحمد رباع، انحسار الأصول وانتشار الفروع في نحو العربية، بحث قبل للنشر في مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، عمان، ٢٠٠٢م. وفي المستوين الصرفي والتركيبي: محمد الخولي، دراسات استطلاعية تحليلية لمفردات اللغة العربية وجملها، بحث في كتابه "دراسات لغوية"، دار الفلاح، عمان، ١٩٨٨م، ٧١-١١٤.

وفـــي افتـــراضٍ وليدِ الخيالِ لا أملُّ من تَرداده أقولُ: لنا أن نسرِّحَ الخاطرَ متخيّلين أنّ أمرأ القيسِ "السّابقَ" بُعِثَ حيًّا من قبرِه بمشيئَة الله القدير، وأنّه بدأ يتجولُ فـــي أســـواقِ اللاحقِ بزيِّه العربيِّ التّقليديِّ وقد نفض عن جبيْنه رمالَ الصحّراء، أحسبُ أنّ نصيبَه معنا من التّواصلِ خافتٌ؛ ذلك أنّ كثيراً من الألفاظِ الحادثَة لا عهد له بها، كالحاسوب، والهاتف، والتّلفازِ والمذياع، وأنَّ كثيراً من ألفاظِ عصرِه استوت الـــيومَ في ملامحَ دِلاليّةٍ مفترقةٍ عن ملامحها الأولى افتراقاً يسيراً أو خطيراً، ولا يُنسى أنّه سيفتقدُ كثيراً من ألفاظِ عصرِه التي طواها الزّمن؛ سيفتقدُ ناقته وصفاتها، وســـيفَه وأوصَافه والملامحَ الدّلاليّةَ المميِّزَةَ لكلِّ وصف، والخمرةَ وأشكالَها، وأنواعَ الرّياح التي كان يقيمُ فروقاً دلاليّةً بين ألفاظِها، وحصانَه والأوصافَ الدّقيقةَ التي كان يسبغُها عليه، وفوقَ هذا كلِّه، سيجدُ نفسَه غريباً في عالم البنطال والقميص، وأحسبُ أنّ الـــباحثَ غيـــرُ مـــبالغٍ لو قال: والأمرُ عند اللاّحقِ كما هو عند السّابقِ " امرئ القيس"، فإذا ما أُرْجِع إلى القُرونِ الأولى فإنّه سيلاقي عَنتاً ومشقّةً في التّواصل، بل ستفضي به تلك المشقّةُ إلى أبوابِ التفاصل؛ ذلك أنّه سينفرُ عن معاني ألفاظِ السّابق فـــي المُعْجمـــات، وقـــد يـــتعذّر عليه إدراكُها إدراك السّابق، وسيجد أن كثيراً من المدلـــولات قـــد تطـــورتْ مع بقاء رسمها على ما هو عليه كالبريدِ وريشةِ الكتابةِ والدّبابةِ والقطار، ولا يُنسى امّحاءُ الفروقِ الدّلاليةِ المميِّزة التي كان يقيمُها السّابق، كالفـــرق بـــين القعود والجلوس، والظّلّ والفيء، والقضيم والكَهامِ، وغيرُ ذلك كثيرٌ كثيـــرٌ، حقاً إنها مشكلةٌ لغويّة تفضي باللاّحق إلى الولوجِ في عالمِ اللّبسِ من بوّابةٍ عريضةٍ: من امّحاء الفروق الدّلاليّة، ومن انزياحِ الألفاظِ عن دلالاتها إلى حدِّ الإيهام دون الإحكـــام ، ومـــن انتفاء مقدرته على إقامةِ بونٍ بين المُطلَق والمُقيَّد، وعندَها ستـــصبحُ الـــنّاقة وصفاتُها المتباينةِ المتنوعةُ "ناقةً" واحدةً عند اللاّحق، وهي عند

الـسّابقِ أشكالٌ وألوانٌ وأنواعٌ، وستغدو أنواعُ السيوفِ وصفاتُها سيفاً واحداً، كما ستصبحُ جميعُ أنواعِ السيّاراتِ المتباينةِ التي يراها امرؤ القيسِ سيارةً واحدةً؛ ذلك أنّهـا ممّـا يقعُ خارجَ وعيه ومفهومِه فقد يصعبُ عليه أنْ يدركَ أنّ هذه من طراز "مرسيدس"، وأنّ تلك من طراز "فولفو" (٣).

لنرْجِع النّظر برويّةٍ فيما يأتي من كلمات اعترى دلالاتها تطوّرٌ دلاليّ أفضى إلى وجوبِ استرفادِه عند الوقوفِ على نصٍّ السّابقِ:

- **الأثاث:**

وبنظـرة سريعة إلى دِلالةِ هذه الكلمة التي نتداولها اليومَ تداولاً كثيراً يظهر أنّـه قـد وقع فيها تطورٌ دلاليّ هيئتُه التّخصيص؛ إذ إنّ دلالةَ المتاعِ كانت رحبةً تـشتمل على مُدْخَلاتٍ متنوعة، فقد جاء في "أدب الكاتب" أنّ الأثاثَ المالُ أجمع: الإبـلُ، والغنمُ، والمتاعُ، والعبيدُ (٤)، وهي عند الفرّاء المتاعُ (٥)، وليس يخفى أنّ قـولَه "المـتاع" محتملٌ لأشياءَ كثيرة، وفي اللسان قيل إنّ الأثاثَ الكثيرُ من المال وقـيل: المـال كلُّـه، والمـتاعُ مـا كـان مـن لـباس أو حـشوِ لفـراشٍ أو دثار (٦) وقد جاء في القاموس أن الأثاث هو متاعُ البيتِ والمال أجمع (٧)، وكذلك في مفردات الرّاغب الأصفهاني (٨).

---

٣. انظـر: مهدي عرار، ظاهرة اللبس في العربية: جدل التواصل والتفاصل، دار وائل، عمان ٢٠٠٣م، ١٧٧.

٤. انظر: ابن قتيبة، أدب الكاتب،٥٣.

٥. انظر: الفراء، معاني القرآن، ١٧١/٢.

٦ انظر: ابن منظور، اللسان، مادة "أثث".

٧. انظر: الفيروز أبادي، القاموس، مادة "أثث".

٨. انظر: الراغب، المفردات،١٥.

يظهـرُ مـن هـذا العرضَ الدّائرِ في فَلك دلالةٍ رحبةٍ، فالأثاثُ اسمٌ لمتاع البـيت، والمـالِ، والإبلِ، والغنمِ، والعبيد و.... ولكنّ هذه الدّائرة الدّلاليّة الرّحبةَ اختُـزلتْ فاطُـرح كثيرٌ من المُدخلات التي تستوعبُها هذه الدّلالة، فاقتصرت في رحلـة العربيةِ على واحدةٍ، وهي متاعُ البيت، وهذا هو المعنى الذي لنا به عهدٌ وتواضـعٌ هـذه الأيامَ، والحقّ أنني كنتُ قد عرضتُ هذه الكلمةَ على طلبةِ العربيّة الـشادينَ ملتمـساً منهم تعيينَ معناها، فجنحوا كلهم إلى ما استقر في الفهم اللغويّ المعاصرِ القائلِ بأنه متاعُ البيتِ فقط.

- **البلد:**

وللـبلد في كلامِ السّابق دلالةٌ أعمّ وأرحبُ من دلالتِها عند اللاّحق؛ إذ إنّها عند الأخيرِ تعني المكانَ العامرَ المسكون ذا الحدود، ولكنّ هذا المعنى جزءٌ من معناها في المعجمِ العربيّ؛ إذ ينضاف إليه أنه كلّ موضعٍ أو قطعةٍ مستحيزةٍ عامرةٍ كانت أو غيـر عامـرة، خالية أو مسكونة [٩]، وقد جنح إلى هذا المعنى ابنُ الأثير في تفسيرِ الحديث الشّريف: " وأعوذ بك من ساكني البلَد" فقال: "والبلد من الأرض ما كـان مـأوى للحـيوانِ وإن لـمْ يكـن فيه بناء، وأراد بساكنيه الجنَّ لأنهم سكّانُ الأرض [١٠]، ولعـلّ وصـف هذا التّطوّر الدّلاليّ الواقعِ في دلالة البلدِ قائمٌ على التخصيص.

---

٩. انظر: الأزهري، التهذيب، مادة "بلد"، وابن منظور، اللسان، مادة "بلد".

١٠. انظر: ابن الأثير، النهاية، ١/١٥١، وابن منظور، اللسان، مادة "بلد".

- **التّابوتُ:**

للتابوت اليومَ دلالةٌ تفارق دلالةَ الأمس، ولكنّهما – أعني الدّلالتين – تتصلان بنسبٍ حميم، والمعنى الشّائعُ اليومَ أنّه الظّرف الذي يوضَعُ فيه الميتُ ليُحمل، ولا يكادُ هذا المعنى في عاميّتنا – في الذي أعلمه – ينصرف إلاّ لحقل الموت، والحقّ أنّ هذا المعنى الحادثَ لم يردْ في المعجم العربيِّ؛ إذ إنّ الذي ورد فيه أنّه الصندوق [١١]، وقد وردتْ هذه الكلمة في قوله – تبارك اسمُه– : " إنّ آيةَ مُلْكه أن يأتيكم التّابوتُ فيه سكينةٌ [١٢]، كما أشار إليه مَن عرّج عليه من اللغويِّين والمفسِّرين – أنّه الصندوق، وقد قيل إنّه "كان شيئاً منحوتاً من الخشب في حكمة" [١٣]، وقد قيل هو الصّندوقُ الذي كانتْ فيه التّوراة توضَع، وقد كان من عود سمساد عليه صفائحُ الذّهب [١٤]، والمعنى عند الزّمخشريِّ أنّه صندوقُ التوراة، وكان موسى – عليه السّلام– إذا قاتل قدّمه، فكانتْ تسكنُ نفوسُ بني إسرائيلَ فلا يفرّون[١٥] .

إخال أنّ كلّ ما تقدّم يُجمع على أنّ التابوت هو الصندوق ولكن اللّغويين افترقوا في بيان اشتقاقه[١٦] وقد قال الزّمخشريّ – وهنا موضعُ تمثّل التطوّر الدّلاليِّ – برأيين: أولّهما أنّه على وزن "فاعول"، وثانيهما أنّه على وزن "فعلوت"، والأخير عنده أعلى وآكد؛ إذ إنّه مأخوذ من "التوب"، وهو الرّجوع، لأنّه ظرفٌ توضَع فيه الأشياءُ وتُودَعه فلا يزالُ يرجع إليه ما يخرج منه"[١٧] .

---

١١. انظر: ابن منظور، اللسان مادة "تبت".

١٢. الآية (البقرة، ٢٤٨).

١٣. انظر: الراغب، المفردات، ٨٢.

١٤. انظر السجستاني، النزهة، ١٥٤.

١٥. انظر الزمخشري، الكشاف، ٣٧٨/١.

١٦. انظر: ابن منظور، اللسان، مادة "تبت" ومادة "توب".

١٧. الزمخشري، الكشاف، ٣٨٠/١، وأبو حيان، البحر، ٢٦٩/٢.

لعلّه تجدرُ الإشارةُ إلى أن تطوراً دلالياً اعترى كلمة "التّابوت"، أوّله قائم على أنّه إذا نحـــن سلّمنا أنّ هذه الكلمةَ إنّما هي مشتقّة من "توب"، فإن ذلك يعني أنّ تطوّراً دلالـــياً وقـــع إذ ســـمّي التّابوتُ تابوتاً لما فيه من رجعةِ صاحبه إليه كما تقدّم عند الزمخـــشريّ من بيان. وثانية: التّطورُ الحادثُ اليوم، وهو تخصيصُ دلالةِ التّابوت للمـــيّتِ بعد أنْ كانتْ معمّمة تدلّ على الصّندوق وما يوضَع فيه بإطلاق، ومما جاء بالمعنـــى المجـــازيّ "ما أودعت تابوتي شيئاً ففقدتهُ "، أي ما أودعتُ صدري علماً فعدمتهُ [١٨]، وكذلك قوله – صلى الله عليه وسلّم – في دعاءِ الليل: اللهمّ اجعل في قلبي نوراً – وذكر سبعاً– في التّابوت"، وقد أريد بالتّابوت ههنا الأضلاعُ وما تحويه كالقلبِ والكبدِ وغيرِهما تشبيهاً بالصندوق الذي يُحْرَز فيه المتاعُ [١٩]، وقد ساءلتُ فيها طلاّبَ العربيّةِ فلم تقترنْ في أذهانِهم إلاّ بما يُحمَل عليه الميّتُ، وهي كذلك في عاميّاتنا.

- **الجنازة:**

لعلّه يُحسن أن أستفتحَ هذه المباحثةَ بالإلماح إلى أنّ مذاهبَ اللّغويّين قد تباينتْ فـــي ضبطِ هذه الكلمةِ، فمنهم من قال إنّ الجِنازة والجَنازة الميّتُ على سريرِه[٢٠]، ومنهم من قال إنّ الجَنازة بالفتح الميّت، وبالكسر السّريرُ، وإنْ لم يكن عليه الميّت فهـــو سريرٌ أو نعش[٢١]، ومنهم من قال إنّ الجِنازةَ الإنسانُ الميّت، و"قد جرى في

---

١٨. انظر: الزمخشري، الأساس، ٥٩.

١٩. انظر: ابن الأثير، النهاية، ١٧٩/١.

٢٠. انظر: ابن الأثير، النهاية، ٣٠٦/١، وابن منظور، اللسان، مادة "جنز".

٢١. انظر: ابن منظور، اللسان ، مادة "جنز"، وابن منظور، اللسان، مادة "جنز".

كلام أفواه الناس جَنازة، بالفتح، والنّحاريرُ ينكرونه" [٢٢] ، والمستصفى مما تقدّم أنّ الجِـنازة قـد تكون الميّتَ على سريره، أو السّريرَ الذي عليه يحَمل، وليست تلكم الدّلالـةُ التي أثبتتها المعجماتُ العربيّة بمطابقة لدلالة اليوم؛ إذ إنها اليومَ تدلّ على المـيّتِ ونعشه وجمهورِ المشيّعين، ولسنا في عُرفنا اللّغويّ المعاصرِ في فلسطينَ نسمّي الميّتَ جنازةً، لا ولا سريرَه كذلك، بل الجنازةُ كلٌّ مشترك ممّا تقدم، ويظهر ثانيةً وثالثةً ورابعةً أنّ هذا المعنى الحادثَ ليس هو المتقادمَ، ومن هنا وجب التّنبيهُ على التّباين في المقصدَين: مقصدِ السّابق ومقصدِ اللاّحقِ.

- **الجيل:**

ولهذه الكلمة دلالةٌ عند السّابقِ تفترقُ عن دلالة اللاّحق افتراقاً ظاهراً؛ إذ إنّ ما ورد فـي كـلامِ الـسّابقِ يشير إلى أنها تعني كلَّ صنفٍ من النّاس، فالترك جيلٌ، والـصّين جيلٌ، والعرب جيلٌ، والرّوم جيلٌ [٢٣] ، وقيل إنّ كلّ قومٍ يختصّون بلغةٍ جيلٌ، وقيل إن الجيلَ الأمّة [٢٤]، وبهذه المعاني فسّر ابنُ الأثيرِ حديثَ سعد بنِ معاذ: "مـا أعلم من جيلٍ كان أخبثَ منكم" [٢٥] ، ولعل التّدقيقَ يفضي إلى الاعتقادِ بأنّ دلالةَ الجيلِ الحادثةَ قائمة في ضبط معناها وتقييده على معيارٍ زمنيٍّ، ولعلّها كانتْ في غابرِ عهدِها يغلبُ عليها معيار عرقيّ أو مكاني، وقد تبدّى هذا بجلاء عند ابن

---

٢٢. ابن فارس، المقاييس، مادة"جنز".

٢٣. انظر معنى الجيل:الزمخشري، الأساس، مادة "جيل"

٢٤. انظر: ابن منظور، اللسان، مادة "جيل".

٢٥. ابن الأثير، النهاية، ٣٢٥/١ .

فارسٍ في إشارته إلى قوم "جيل" إخوانِ الدّيلم [٢٦]، والزمخشريِّ في قوله: " عنده من النّاس أجيالٌ؛ أي أصناف: جيل من التّرك، وجيلٌ من الخزر" [٢٧]، وابن منظور في كلامه المتقدّم آنفاً، وليس في اللاحق مَن يعرفُ التّركَ جيلاً، لا، ولا الصّينَ كذلك بل تناهى إلى عُرفنا اللّغويّ المعاصر وإلفنا المستحكم أنّ الجيلَ الجماعةُ من النّاس الذين تقاربت أعمارُهم فصاروا أتراباً أو كادوا، وصرنا نطلق عليهم الجيل.

- **الرُّفات:**

وفي تطوّر هذه الكلمة يتجلّى عارضُ "تخصيص الدّلالة"؛ ذلك أنّ جماعَ معنى هذه المادّة يلتقي على الكسرِ والدقّ [٢٨]، فنقول: رفَت الشّيءَ يرفته فهو رفاتٌ؛ إذا كسره ودقّه، ورفتُ الشّيءَ إذا حطّمتُه وكسّرْته، ورَفتَ عظامَ الجزور إذا كسّرها ليطبخها [٢٩]، والمعنى الجامعُ لهذه المادّة في مقاييسِ ابن فارسٍ أنّ الرّاء والفاء والتّاء أصلٌ واحد يدلّ على فتٍّ وليٍّ [٣٠] والظاهرُ أنّ أبناءَ العربيّة اليومَ يقرّ في أذهانهم أنّ الرّفاتَ إنما هو متعلّق بما يبقى من جثمانِ الميّت بعد تحلّله، كالعظم البالي الهباء المنثور، وأحسبُ – ولست بمبالغٍ – أنّ هذا المعنى الحادثَ إنّما هو شطرٌ من المعنى المتقادم؛ ذلك أنّ دائرة دلالة "الرّفات" كانت رحبةً تتّسع لمُدخلات كثيرة متنوّعة، ويشهد على هذا كلّه؛ أعني عمومَ دلالتها المتقادمة:

---

٢٦. انظر: ابن فارس، المقاييس، مادة "جيل".

٢٧. الزمخشري، الأساس، مادة "جيل".

٢٨. انظر: ابن منظور، اللسان، مادة "رفت".

٢٩. انظر: ابن منظور اللسان مادة "رفت".

٣٠. انظر ابن فارس، المقاييس، مادة "رفت".

١. تعريجةُ الرّاغب على هذه الكلمةِ في موضعيَها في التّنزيل العزيز، فقد رأى أن الـــرّفات كالفُتات؛ إذ هو ما تكسّر وتفرّق من التبن وغيره [٣١]. وقولُه: "مـــن التّبن وغيره" ذو إلماحة فاقعة تعضدُ المذهبَ المتقدّم بيانُه، وهو القولُ بـــأنّ دلالةَ الرّفات المتقادمة كانت رحبةً ذات عمومٍ يتّسعُ لمُدْخَلات معنوية كثيرة.

٢. مـــا ورد عـــند صاحبِ اللّسان، فقد ذكر أنّ الرّفات " الحطام من كل شيء تكـــسّر [٣٢]، وفـــي موضـــع آخر يلحّ على هذا المعنى المذكورِ آنفاً بعبارةٍ أخرى مفادها "والرفات: كلّ ما دُقّ فكسّر" [٣٣].

٣. تفـــسيرُ القرطبيِّ للرّفات بعبارته: " والرفاتُ ما تكسّر وبَلِيَ مِن كلّ شيءٍ كالفتات والحُطام والرُّضاض" [٣٤].

لعـــل فـــي هذا المتقدم فضلَ بيان ينْبئ عن عمومية دلالةِ الرّفات في كلام الـــسّابق، وتخصيصِها في كلام اللاّحق وأنّها في كلام اللاحق غدتْ تقترن بالحَقل الدّلالـــي المنتـــسبِ للمـــوتِ وما يلحق به، وأنها لم تكن مقصورة على ذلكم الحقل "المـــوت"؛ إذ إنها تقترنُ بما يبقى من الميّت من فُتات، وقد قال أبو عبيدة في قول الحـــقّ – تقـــدس اســـمه – : "أإذا كنّا عظاماً ورفاتاً" [٣٥] حطاماً [٣٦]، وقد ذهب السجستاني إلى أنها الفُتات [٣٧].

---

٣١. انظر الراغب، المفردات، ٢٢٥.

٣٢. انظر: ابن منظور، اللسان، مادة "رفت".

٣٣. ابن منظور، اللسان، مادة "رفت".

٣٤. القرطبي، الجامع، ١٠/١٧٧.

٣٥. الآية (الإسراء،٤٩).

- **المُتزمِّت:**

وللمتــزمت فــي كــلام اللاحق معنى ليس عند السّابق، وباعثُ ذلك التطورُ الدّلالــي، فقــد جاء في المعجم العربيِّ أنّ الزَّميت والزِّمِّيت الحليمُ السّاكن القليل الكلام، كالصمِّيت [٣٨]، أو السكِّيت [٣٩]، وقد قيل رجل متزمِّت، وما أشدّ تزمّته، ورجل زَميت وزِّميت إذا توقَّر في مجلسه ، ومنه ما ورد في صفة الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلّم – "أنه كان من أزمتِهم في المجلس"، والمعنى المتعيّن: من أرزنهــم وأوقرِهم [٤٠] ، والذي يظهرُ أنّ هذه الدّلالة المتقادمةَ تفترقُ عن الدلالة الحادثةِ من جهتين: أولاهما الدلالة المركزية، وثانيهما الدلالةُ الهامشيّة. أما الهامشيّةُ فذلك أنها تكتسي اليوم بمعانٍ هامشية وظلالٍ سلبية تدلّ على أنّ صاحبها الموسوم بهــا "المتــزمِّت" ممّــن ينتــسبون إلى الغلاة والمتشدِّدين الذين يستمسكون بعِصَمِ النّــصوص وحــروفها، ولكــنّ هذه الدّلالة "المتزمت" عند السّابقِ ذاتُ وجه دلاليٍّ مــشرقٍ يكتــسي بظلالٍ وإيحاءاتٍ هامشيةٍ مستحسنة، ولعلّ ما تقدّم في مفتتَح هذه المعالجة يسند هذا.

أما الافتراقُ الواقع في الدّلالة المركزيّة فمردّه إلى أنّ هذه الدلالة قد انزاحت انــزياحاً ظاهــراً في كلام اللاّحقِ عن دلالتِها في كلام السّابق، فعند الأوّل الحليمُ

---

٣٦. انظر: أبو عبيدة، المجاز،٣٨١/١.

٣٧. انظر: ابن عزير، النزهة،٢٤٩.

٣٨. انظر: ابن منظور، اللسان، مادة "زمت".

٣٩. انظر: ابن فارس، المقاييس، مادة "زمت"، والفيروز أبادي، القاموس، مادة "زمت".

٤٠. انظــر الحديث وما قيل فيه: الزمخشري، الفائق،١٣٧/٣، وابن الأثير،النهاية،٣١١/٢،وابن منظور، اللسان، مادة "زمت".

السّاجي الوقورُ، وفي كلام اللّاحق المتشددُ المغالي الجافي، ولعلَ وجه الالتقاء بين الدّلالتين؛ أعني دلالةَ السّابقِ واللاحق، مأخوذٌ من السكوتِ أو التوقّرِ في المجلس، فكـأنّ ذلـك المتـزمّت في كلام اللاّحق يبقى على حالٍ واحدةٍ لا يكاد يبَرحُهَا ولا يرتضي لها بدلاً، واللّطيف في هذا المبحثِ أنّ ابنَ فارس لا يعدّ مادّة "زمت " أصلاً قائمـاً برأسـه؛ ذلك أنه يرى أنّ إبدالاً وقع فأفضىً بها إلى هذه الصُّورةِ النطقيّةِ، فالزّاي عنده مبدلةٌ من الصّاد، والأصلُ هو الصمت [٤١]، ولما أوردت طلاّبي عليها لم يستشرفوا المعنى المتقادم البتّة.

- **السَّبّ والسَّبب:**

لابـن دريـد في جمهرته مذهبٌ في أصلِ "السّب"، فقدْ قرَّر أنّه القَطع [٤٢]، وهو كذلك في اللّسان [٤٣]، فيقال: سبَّه سبًّا: قطعه، والسَّيف يسمى سبّاب العراقيب لأنَّه يقطعُها، وقيل السَّبُّ العقرُ، فيقال سبَّ الناقة إذا عقرها. والذي يظهرُ من رحلة هـذه الدّلالةِ في سيرورةِ العربيّة في زمانها المتطاول أنّ السّب انتقلتْ من الدلالةِ على الماديِّ إلى المعنويّ، فقد تفرع عن ذلكم الأصل فروعٌ دلاليّة أخرى ذات نسبٍ حميم به، ومن ذلك السبّ الذي هو الشّتمُ، وأصلُه – كما يرى صاحب اللّسان – من ذلك[٤٤]، وقد التمس المعنى الجامعَ بين الدلالتين الماديّة والمعنويّة ابن فارسٍ من

---

٤١. انظر: ابن فارس، المقاييس، مادة "زمت".

٤٢. انظر: ابن دريد، الجمهرة، مادة "سبب".

٤٣. انظر: ابن منظور، اللسان، مادة "سبب".

٤٤. انظر: ابن منظور، اللسان، مادة "سبب".

قـبله، فـرأى أنَّ السّبّ الشّتمُ"، ولا قطيعة أقطعُ من الشّتم" (٤٥)، وسَبْسَبَ إذا قطع رَحمَـه، والتَّسْباب التَّقاطع، وممّا ورد فيه الدّلالتان؛ دِلالةُ الأصلِ الماديّ، ودلالةُ الفرع المعنويّ قولُ ذي الخِرَقِ الطُّهَويّ:

فمـا كـان ذنـبُ بنـي مالـكٍ بـأنْ سُـبَّ مـنهم غـلامٌ فـسَبْ

عـراقيبَ كُـومٍ طـوالِ الـذرى تَخـر بـوائكُها للـرُّكبْ

بأبـيضَ ذي شُـطبٍ باتـرٍ يَقُـطُّ العظـامَ ويبـري العَـصبْ

أمّا قوله سبّ فالمعنى المتعيّن منه،: شتم، وأما سبَّ الأخيرة فالمعنى:"عقر"(٤٦) أما السّبب فهو دالٌّ على العلّة أو الذريعةِ التي يُتوسّل بها إلى غيرها، فنقول: جعلتُ فلانـاً لـي سبباً إلى فلانٍ في حاجتي، أي وُصلة وذريعة (٤٧)، والمتدبِّر يلفي هذا المعنـى منـزاحاً عـن آخر؛ إذ إنَّ فيه انتقالاً من الماديّ المحسوس إلى المعنويّ المجـرد. أما الماديّ المحسوس فهو الحبلُ الذي يتوصل به للحاجة، وأمّا المعنويُّ المجـرَّد فهـو ما استُعير لكلِّ ما يتوصّل به إلى شيء، وقد التفت إلى هذا الانتقال المُعْجِـبِ القائمِ على التجوّز في المعجمِ العربيّ فقيل: "وهو من السّبب، وهو الحبلُ

---

٤٥. ابن فارس، المقاييس، مادة "سبب".

٤٦. يـريد الـشاعر في هذه الأبيات معاقرة أبي الفرزدق غالب بن صعصعة لسُحيم بن وثيل لما تعاقـرا بـصَوأر، فعقر سحيم خمساً، ثم بدا له وعقر غالب مئه. انظر قصة هذه الأبيات في اللسان في مادة" سبب".

٤٧. انظر: ابن منظور، اللسان، مادة " سبب".

الذي يتوصّل به إلى الماء، ثمّ استُعير لكلّ ما يتُوصّل به إلى شيء [٤٨]، وقد ورد المعنى المتقادمُ في التنزيل العزيزِ في قولِ الحقِّ – تقدّس اسمُه – : " فليمددْ بسببٍ إلـى الـسّماء"، والمعنى: فليمددْ حبلاً في سقفه ثمّ ليقطعْ ليموتَ مختنقاً [٤٩]، وقد تبايـنتْ أقـوالُ اللّغويين في توصيفِ هيئةِ ذلكم الحبل، فقيل هو من الحبالِ القويُّ الطّويلُ، وقيل: لا يُدعى الحبلُ سبباً حتّى يُصعَد به وينحدر [٥٠].

- **الشبّاك:**

وشُبّاك السّابق ليس كشُبّاك اللاحق؛ إذ إنّه عند السّابقِ القُنّاص الذين يجلبون الـشِّباك، وهـي المَـصايد للصّيد، وقد تعني عنده أيضاً اسماً "لكلّ شيءٍ كالقصبِ المُـشبّكة التي تُجعل على صنعة البواري، والشُّباكة واحدةُ الشّبابيك، وهي المُشبّكة مـن الحديدِ ، والشُّبّاك ما وضع من القصبِ ونحوه على صنعةِ البواري" [٥١]، أما الـشُّباك الـيومَ فـيكادُ يكونُ مرادفاً للنّافذة، ولعلّ الملمحَ الجامعَ بين شُبّاك السّابقِ وشُـبّاك اللاحـق هو الأصلُ الجامعُ الدّال على تداخلِ الشّيء [٥٢]، وكذلك هيئةُ الشبّاك، فقد يكونُ مؤتلفاً من حديدٍ مختلطٍ متشابك، واللّطيفُ في تطوّر هذه الدّلالة – فضلاً عمّا تقدّم – أننا في يومنا هذا نسمي الشّبّاكَ شبّاكاً وهو غيرُ مُشبّكٍ حديدُه ولا مختلطٌ، وعندها يكونُ نافذةً فقط.

---

٤٨. انظر: اللسان، ابن منظور، مادة "سبب".

٤٩. انظر: اللسان، ابن منظور، مادة سبب".

٥٠. انظر هذه الأوصاف الدلالية في اللسان، مادة "سبب".

٥١. ابن منظور، اللسان، مادة "شبك"

٥٢. انظر: ابن فارس، المقاييس، مادة "شبك".

- **الشّاطر:**

و"شاطر" اللاّحقِ ليس كشاطرِ السّابق، بل بينهما افتراقٌ دلاليّ يصل إلى عتبةِ التّـضادّ؛ إذ إنّه في كلامِ السّابق ذو إيحاءات سلبيّة، وظلالٍ هامشيّة مقيتة، والأمرُ بخلاف ذلك في كلام اللاحق، فهو يعني قديماً الذي نزح عن أهلِه وتركهم مراغماً أو مخالفـاً بعـد أن أعياهم خُبثاً، وقيل هو الذي أعيا أهلَه ومؤدبه خُبثاً، ومصدره "الشّطارة "، وفي معنى قريبٍ ممّا تقدم قيل إنّ الشّاطر – وهذا معنى لا يدافع الأوّل بل يساوقُه – هو الذي أخذ في نحو غير الاستواء، ولذلك قيل له شاطرٌ؛ لأنه تباعد عـن الاسـتواء [٥٣]. أما عن هيئة ذلكم التّطوّرِ الدّلاليّ المكتنف هذه الكلمة فهي الرقـي، فمن ظلال سلبيّة في كلامِ السّابق إلى أخرى إيجابيّة في كلام اللاّحقِ تقال فـي مقاماتِ المدحِ والثّناء، ولعلّ تفسير هذا التّطوّر يغدو قريباً باسترفاد أنظار ابن فـارسٍ المُعْجـبة في مقاييسه، فقد جنح إلى أنّ الشّين والطّاء والرّاء أصلان يدلّ أحدهما على نصفِ الشّيء، والآخر على البعدِ والمواجهة [٥٤] وإخالُ أنّها في كلامِ الـسّابق مأخوذةٌ من الأصلِ الثّاني الذي عرّج عليه ابنُ فارسٍ، وهو البعد والنّزوحُ عن الأهلِ مراغمةً أو مخالفةً، أما في كلامِ اللاحق فكأنها – وأقول كأنها – مأخوذةٌ مـن الأصـل الأولِ، وهو نصف الشيء؛ إذ إنّها تكاد تكون في العربية المعاصرة مُرادفةً "بـماهر" أو "ذكيّ" وكأنّ من يوسم بهذا الميسمِ يضرب بسهمه في كلّ بابٍ ليكونَ له منه شطرٌ أو نصيبٌ، ليصْدقَ فيه المثلُ وعليه،: "في كلّ عرسٍ له قرص"، فكأنه شاطرٌ يأخذ من هنا وهناك ما يفيده.

---

٥٣. انظر: ابن منظور، اللسان، مادة "شطر".

٥٤. انظر: ابن فارس، المقاييس، مادة " شطر".

• **الشَّلَل:**

وشَلل اللاحق ليس كشللِ السّابقِ، فقد كانت هذه الكلمةُ تقتصر على شللِ اليدِ، بل تقتــرن بهــا اقتــراناً لفظــيًّا لازمــاً، فقيل إنّ الشّلل: يُبْسٌ في اليدِ وذهابُها، وقيل فسادُها (٥٥)، وممّا يعضدُ مذهب اقترانِ الشّلل باليد في قولِ اللاّحقِ:

١. ما ورد في الحديث الشريفِ يومَ أُحد: "شلّت يده يوم أحد" (٥٦).

٢. في الدّعاء: لا تشلَل يدك ولا تكلَلْ.

٣. وفي قول الشّاعر:

فشلّت يميني، يوم أعلو ابنَ جعفرٍ  وشلّ بناناها، وشلّ الخناصرُ (٥٧)

والحقّ أنّ إثباتَ اقتران الشّلل باليد في اللّسان العربيّ ظاهرٌ غالبٌ، وهو يكثرُ إن تتبّعــتُه، وقد أوردتُ أمثلةً تنبّه على الغرض الذي قصدتهُ، وقد فسّر ابنُ الأثير اليدَ الشّلاء بأنها: المنتشرة العصب التي لا تواتي صاحبَها على ما يريد لِما بها من الآفــة"(٥٨). أمّا الشّلل في العربيّة المعاصرةِ فتظهرُ دلالتهُ ذات عمومٍ يشتملُ على يــبسِ الجــسمِ كلّه، أو على شقٍّ الإنسان، أو على الجارحةِ، وقد خطّأ بعضُ الذين تــصدّروا للتّصحيح الدّلاليّ استعمالَنا لها على هذا الوجهِ المتقدّم ذكرهُ معتدّين بما ورد في المعجم العربيّ، ذاهبين إلى أنّ دلالتَها ذات خصوصٍ لا عمومٍ، قائلين بأنّ

---

٥٥. انظر: ابن منظور، اللسان، مادة" شلل".

٥٦. انظر الحديث: ابن الأثير، النهاية،٤٩٨/٢.

٥٧. انظر الشعر: ابن منظور، اللسان، مادة "شلل".

٥٨. ابن الاثير، النهاية ٤٩٨/٢.

الـصّوابَ هـو "الفـالج" لا الشّلل [٥٩]، وإخالُ أنّ نواميس التطور الدّلاليّ تجيز استعمال اللاحق لهذه الدّلالة على الوجه المتأخّر، وإخال – من وجهة أخرى – أن في تخطئتهم تكلّفاً وتضييقاً على أهل اللّغة، فدائرةُ دلالة الكلمة قد تضيقُ فتطرّح مـا قد كان داخلاً فيها، وقدْ تتّسع فتستغرقُ مُدخلاتٍ جديدةً لم يكن لها نصيبٌ فيها، وهذا وقع في دلالة الشّلل، فقد اتّسع ملحظُ اليُبس فاستغرق الجسم كلّه، وممّا يعضدُ هذا أنّ الزمخشريَّ في أساسه جنح إلى عدّ قولنا "عين شلاّء" ؛ أي الذّاهب بصرها، مجازاً [٦٠]. فثمّ مسوّغٌ ظاهر يؤذن بتعميمِ هذه الدّلالة وانتقالها لتشملَ الجسمَ.

- **الصَّبْر:**

من أسماءِ الله العليّة "الصّبور"، وهو من أبنية المبالغة، ومعناه الذي لا يعاجلُ العصاةَ بالانتقامِ والأخذ [٦١]، وقد يقعُ هذا الوصفُ على الآدميِّ المخلوقِ، والمعنى المتعيّنُ منه يدورُ في فلَك الدلالة على التحمّل واطّراح الجَزعِ والمكابدة، وهو عند الـرّاغب: حـبسُ النّفْس على ما يقتضيه العقلُ والشّرع، أو عمّا يقتضيان حبسَها عـنه [٦٢]، ومن ذلك قولُه – تبارك – : "أولئك يُجزَون الغرفةَ بما صبروا" [٦٣]، والمعنى: بما تحمّلوا من الصّبرِ في الوصولِ إلى مرضاةِ الله[٦٤]

---

٥٩. انظر العدناني، معجم الأخطاء الشائعة، ١٣٤.

٦٠. انظر الزمخشري، الأساس، مادة "شلل".

٦١. انظر: ابن الأثير، النهاية،٣/٧، وابن منظور، اللسان، مادة "صبر".

٦٢. انظر: الراغب، المفردات،٣٠٧.

٦٣. الآية (الفرقان، ٧٥).

٦٤. انظر: الراغب، المفردات،٣٠٧

وبعَــودٍ فاحصٍ في المعجمِ العربيِّ يلفي الباحث أنّ دلالةَ الصَّبر لها أصلٌ مــتقادمٌ، و "أصــل الــصبرِ الحبسُ" [٦٥]، وممّا ورد من سياقاتٍ لهذه الكلمةِ في المعجمِ: صَبَرَه عن الشيءِ: حبسه، وكلُّ مَن حبس شيئاً فقد صبره [٦٦] ولذلك نهى الرّسولُ – صلى الله عليه وسلّم – عن المصبورةِ، وهي المحبوسةُ على الموتِ [٦٧] وممّــا ينتسبُ إلى دلالةِ ما تقدّم: يمينُ الصَّبْر، وبيانُها أنْ يحبسَ السُّلطان صاحبَها علــى اليمــين حتّى يحلفَ بها واليمينُ المصبورةُ فيها تجوُّز وانزياحٌ، فقد قيل لها مــصبورة "محبوسة" لأنّ صاحبَها في الحقيقةِ هو المصبورُ، وإنّما صُبِر من أجلِها، أي حُــبس، فوصــفتْ بالصَّبر، وأُضيفتْ إليه مجازاً [٦٨]، وممّا يُحمَل على تلكم الدّلالــةِ المــتقادمةِ الأصليةِ؛ أعني دلالة الحبسِ، وصفه – صلى الله عليه وسلّم – لشهر رمضانَ بشهر الصّبر، وقد جنح ابنُ الأثير في تفسيرِه هذا الحديثَ بأنه إنما ســمي كــذلك لدلالــة الأصلِ المتقادمِ "الحبس"؛ إذ إنّ فيه حبساً للنّفسِ عن الطّعامِ والشّرابِ والنّكاحِ [٦٩].

وممّــا جاء بالمعنى المتقادمِ الحديثُ الشريفُ في رجلٍ أمسك رجلاً، وقتَله آخــرُ: "اقتلوا القاتل، واصبروا الصّابر"، والمعنى، احبسوا الذي حبسه للموتِ حتى يموتَ كفعلِه به[٧٠]، ومن مثل ما تقدّم ما ورد في شعرِ العربِ من قول الحطيئةِ:

---

٦٥. ابن الأثير، النهاية، ٧/٣، وابن فارس، المقاييس، مادة "صبر"، واللسان، مادة "صبر".

٦٦. انظر: ابن منظور، اللسان، مادة "صبر"

٦٧. انظر ابن الأثير، النهاية ٨/٣، وابن منظور، اللسان مادة "صبر".

٦٨. انظر: ابن منظور، اللسان، مادة صبر".

٦٩. انظر: ابن الاثير، النهاية، ٧/٣، وابن منظور ، اللسان، مادة "صبر".

٧٠. انظر: ابن الأثير، النهاية، ٨/٣.

قلت لها: أصبِرُهَا جاهداً ويحك، أمثالُ طريفٍ قليل.

وممّا جاء على وجه الحقيقةِ عند الزمخشريّ قولُهم: صَبرت نفسي على كذا: حبستُها، وإنه ليصبِرُني عن حاجتي: يحبسُني (٧١).

ولمّا كان لفظُ الصّبر عامّا يقع على أشياءَ كثيرةٍ في العالم الخارجيّ، خولف بينَ أسمائه لاختلافِ مواقعه، فإذا كان الحبسُ حبسَ النّفسِ لمصيبةٍ سمّي صبراً، وضدُّه الجزعُ، وإنْ كان الصّبرُ في محاربةٍ سمّي شجاعةً، وضدّه الجبنُ، وإذا كان الصّبْر في مَضْجَرة سمّي رحابةَ صدر، وضدُّه الضّجر، وإنْ كان الصّبر في إمساكِ الكلامِ وسُمِ بالكتمانِ، وضدُّه المَذل، كلّ ذلك يجمعهُ قولُه - تقدّس اسمُه - بلفظِ عمومِ دلالةِ الصّبر وإطلاقِها: والصّابرين في البأساءِ والضرّاءِ (٧٢).

- **الصّافن:**

ولرحلة هذه الكلمة في عصورِ العربيّة سيرةٌ وأطوار، فقد انتقلت دلالتُها من مضمارٍ إلى مضمارٍ، وانبنى على هذا وقوعُ اللاحق في إشكالٍ باعثُه فهمهُ فهماً لغويّاً معاصراً يشطّ عن معنى السّابق إلى مكانِ طَروحٍ، فهي في كلام اللاّحق تدلّ على السّاجي الذي صرف نظرَه تلقاءَ شيءٍ ما فأطال النّظرَ مع كثيرٍ من التحداق وتسريحِ الخاطر سواء أكان قائماً أم قاعداً أم جالساً أم راكباً أم محمولاً، ولكنّ ذلك ليس كذلك عند السّابق، فالصّادُ والفاء والنُون يدل على جنسٍ من القيام، والصّافنُ عند ابن فارسٍ هو الذي يصفّ قدَميه (٧٣)، وعند ابن الأثير: كلُّ صافٍّ قَدميه قائماً

---

٧١. انظر: الزمخشري، الأساس ، مادة "صبر".

٧٢. انظر: الراغب، المفردات، ٣٠٧، والآية (البقرة،١٧٧).

٧٣. انظر: ابن فارس، المقاييس، مادة "صفن".

فهو صافن [٧٤]، والصّافن برجله عند ابنِ منظور هو الذي قام على طرفِ حوافره [٧٥]، وعند الرّاغبِ الصّفن الجمع بين الشيئين ضامًّا بعضهما إلى بعض [٧٦]، ولعلّ أعرفَ ما يُميِّز به الصُّفونُ في هذا المقامِ صورةُ العسكريِّ حين يكونُ صافناً صَافًّا قَدَميه قائماً لقائده مُسْلِماً، أو حين يُعْرَض عليه أو يُعرِض هو على موكبٍ للرّئيسِ فيقف صافناً ثابتاً على هيئةٍ عسكريّة مخصوصة، والحقّ أنّ هذه السِّمةَ كانت تقترنُ بالخيل، فالصُّفونُ: أنْ يقومَ الفرسُ على ثلاثِ قوائمَ ويرفعَ الرّابعة، إلاّ أنّه ينالُ بطرفِ سُنْبُكها الأرض [٧٧]، وهذا معنى أجمعَ عليه جلُّ اللّغويين بالتّقريرِ والإثباتِ من أمثالِ ابن قتيبة وابنِ فارس والسّجستانيِّ والراغبِ وابنِ الأثير وابنِ منظور [٧٨]، وقد أنشد ابنُ الأعرابيّ في صفة فرسٍ:

أَلِف الصُّفونَ فلا يزال كأنّه  ممّا يقومُ على الثّلاثِ كَسيرا [٧٩].

وقد ألمح بلْ صرّح بأصلِ هذا الاستعمالِ السّجستانيّ فقال: " وأصلُ الصّافن في الخيلِ، يقال صَفَن الفرسُ فهو صافنٌ إذا قام على ثلاثِ قوائمَ وثنى سُنْبك

---

٧٤. انظر: ابن الأثير، النهاية، ٣٩/٣.

٧٥. انظر: ابن منظور، اللسان مادة "صفن".

٧٦. انظر: الراغب، المفردات، ٣١٧.

٧٧. انظر: ابن فارس، المقاييس، مادة "صفن".

٧٨. انظر: ابن قتيبة، الغريب،٣٧٩، ابن فارس، المقاييس، مادة "صفن"، والسجستاني، النزهة، ٣٠١، والراغب، المفردات، ٣١٧، وابن الأثير، النهاية، ٣٩/٣، وابن منظور، اللسان، مادة "صفن".

٧٩. انظر: الشعر غي الأساس واللسان تحت مادة "صفن".

الرابعة" [٨٠] والظّاهر أنّ تعميماً دلاليًّا وقع، فقد كان يختصُّ بالخيلِ ، وهذا ما يشهدُ به السجستانيّ، ثم اتسعت دائرتُها الدّلاليةُ فاستغرقتْ الخيلَ وغيرَه، ولذلك وُسِم هذا الطَّـور مـن التطوّر الدّلاليِّ بأنّه تعميم، ثمّ انتقلت في كلامِ اللاّحق ليغدوَ الصفون والصَّفْنة على هيئةٍ من التّراخي مع كثيرٍ من التأملِ وإحداقِ النّظر وتسريح الخاطرِ كمـا تقـدّم قبْلاً، ومن أمثلةِ فهم اللاّحق لهذه الكلمةِ فهماً معاصراً نهيُ الرّسول – صـلى الله عليه وسلّم – عن صلاة الصّافِن، وقد ذهب جميعُ أبناء العربيّةِ من الفئةِ المنتقاةِ إلى أنّ الصّافنَ ههنا هو الذي سرّح خاطرَهَ وصفن؛ ولم يكن لدلالةِ السّابقِ المتقدّمِ بيانُها حظٌّ في التّفسيرِ ولا في الاستشراف، وأين هذا من ذاك؟ فالصّافن في حديثِ الرسولِ – صلى الله عليه وسلّم – هو الذي يجمعُ قدميه [٨١] ، وفي حديثٍ آخـر دالٌ قـال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم:– "مَن سرّه أن يقومَ له النّاسُ صُفوناً فليتبوأْ مقعدَه من النّار"، والمعنى: يُديمون له القيامَ [٨٢] .

- **عَرقل:**

وللعـرقلةِ فـي كلامِ السّابق معنى ليس كالمعنى الذي تواضع عليه اللاحق، فالعرقلة في المعجمِ العربيّ تشتملُ على معانٍ متقاربة، فقد تكون التّعويجَ، وقد يقال: عـرقل الرّجلُ إذا جار عن القصدِ، وعرقل عليه كلامَه: عوجه وأدار عليه كلاماً

---

٨٠. السجستاني، النزهة،٢٩٧.

٨١. انظر: ابن الاثير، النهاية،٣/٣٩.

٨٢. انظـر الحديث: ابن الأثير، النهاية، ٣/٣٩، وابن منظور، اللسان، مادة "صفن"، والمصافنة الموافقة في مركز القتال من الصفون، انظر: الزمخشري، الفائق،٢/٣٤٥.

لـــيس بمستقيمٍ، والعراقيل: الدواهي، وعراقيل الأمور: صعابُها [٨٣] ، ولكنّ معنى العرقلةِ اليومَ ليس ببعيد عمّا ذُكر آنفاً، ولعلّها اقترنتْ بحركةٍ جسميّة يمدّ فيها المرءُ رجلَـــه أو يَـــده للآخـــر ليتعثّر، أو ليجورعن القصدِ، والذي يظهرُ أنّ بين المعنى المتقادمِ والحادثِ لحمةً ونسباً حميمين.

- **العَسْكريّة:**

وقد اقترنتْ هذه الكلمةُ بالجُند والمقاتلين، وغدونا نسمعُ بأنّ للعسكريةِ أصولاً ولـــوائح مخـــصوصةً، ولكنّ النّاظر في المعجمِ العربي يجد أنّها ممّا ألمّ به تطوُّرٌ، فأصـــلُ العسكر الجمعُ، وليس يخفى أنّ الجمع قد يقعُ على أشياءَ متباينةٍ في العالم الخارجـــيِّ، فجماعـــةُ الـــرّجال عـــسكرٌ، وجماعةُ الخيل عسكرٌ، وجماعة الكلاب عـــسكرٌ [٨٤] ، وقـــد قـــيل إنّ العسكرَ الكثيرُ من كلّ شيءٍ، وقد عسكر بالمكان: تجمّـــع، وإخـــالُ أنّ الـــباعثَ على تسميةِ عَرفةَ ومِنى بالعَسْكَرَين هو هذه الدّلالة الكلّـــيّة [٨٥] ، أعني الجمعَ أو التّجمّع، فجموعُ الحجيجِ تعسكر " تجتمع" في عرفةَ ثـــم يفيض مُعَسْكَرُهُم إلى مِنى، وقد قال الأزهري إنَّ عَسْكَرَ الرَّجل قد يُطلق على جماعة ماله ونَعَمه [٨٦] ، ولما كانَ الجيشُ لا يكونُ له عمادٌ ولا هيئةٌ إلاّ بالعسكرةِ قـــيل عـــسكر الجـــيشُ إذا اجتمع، وقد أسبغت هذه الصفةُ على الجيش فقامتْ مقامَ الاســـم، وصـــرنا نقول – وهذا معنى أثبته المعجمُ العربيُّ – لمكانِ تجمعِ الجيش:

---

٨٣. انظر: ابن منظور، اللسان، مادة "عرقل".

٨٤. انظر: ابن منظور، اللسان، مادة "عسكر".

٨٥. انظر: ابن منظور، اللسان، مادة "عسكر"، والزمخشري، الأساس ، مادة "عسكر".

٨٦. انظر: الأزهري، التهذيب، مادة "عسكر"، وابن منظور، اللسان، "مادة عسكر".

معسكر، واشتقّنا في عربيتنا المعاصرةِ مصدراً صناعيًّا صار متلئبًّا على الألسن، وهو العسكريّة.

- **عيَّطَ:**

يشيعُ في بعضِ عاميّاتنا أنّ العياط مرادفٌ للبكاء، وهو ليس كذلك في الفصحى؛ إذ إنّ مادّة "عيط" تجتمع على أصلين معنويّين، أولهما يدل على ارتفاع، وثانيهما يدلّ على التعييط [٨٧] والذي يخصّ هذه المباحثةَ هو الأصلُ الأخير؛ إذ إنّ التَّعْييط: أنْ ينبُعَ حجر أو شجرٌ أو عودٌ فيخرجَ منه شبهُ الماء، فيصمَّغ أو يسيل [٨٨]، وقد تعيّطَت الذِّفرى بالعَرَق: سالت، ومنه قولُ الشّاعر:

تَعَيَّطُ ذفراها بجونٍ كأنه  كُحيلٌ جرى منها على اللِّيت واكفِ [٨٩]

وقيل إنّ التّعيّط: غضبُ الرّجلِ واختلاطُه وتكبّره [٩٠] وقد جاء في القاموس: "وقيل هو الجلبة، أو الصياحُ، أو صياحُ الأشِر [٩١]، وقد قال الزّمخشريّ: " عيَّط إذا مدَّ صوتَه بالصَّريخ وهو العِياط" [٩٢].

---

٨٧. انظر: ابن فارس، المقاييس، مادة "عيط""

٨٨. انظر: ابن فارس، المقاييس، مادة "عيط"، وابن منظور، اللسان، مادة "عيط"، والفيروز أبادي، القاموس، مادة "عيط".

٨٩. انظر: ابن منظور، اللسان، مادة "عيط".

٩٠. انظر: ابن منظور، اللسان، مادة "عيط".

٩١. انظر: الفيروز أبادي، القاموس، مادة "عيط".

٩٢. الزمخشري، الأساس، مادة "عيط"، وفي عامية أهل لبنان ما زال العياط دالا على الصراخ والنداء.

ويبقـــى مـــستَأنَفٌ من القول مضمارُه استشفافُ الوجه الجامعِ بين عياطِ اليوم، وعـــياط الأمس، أما اليومَ فبكاءٌ، وأما أمسِ وقد تقدّم آنفاً مجموعةٌ من المعاني التي كانت تدلّ عليها "التعيّط".

فـــإذا كـــان العِياط مأخوذاً من نبعِ الحجر أو الشّجر أو العودِ وخروجِ شبه الماء منه فإنّ ثمّ وجه شبهٍ جليٌّ بين العِياطَين، فالعين في عياطِ اللاحق تسيلُ وتنبع بالماءِ كما ينبع العودُ أو الحجرُ، والمعنى الجامعُ هو السَّيلان.

وإذا كانـــتْ مأخوذةً من معنى الجَلبة والصّياحِ أو صياحِ الأشرِ عند السّكر فالمعنـــى الجامـــعُ أنّ الباكيَ قد يقترنُ ببكائه صوت، كالولولةِ والنحيب. وأيّاً كان المعنـــى فالذي يتجلّى للقارئِ المتدبّر أنّ العِياطَ في كلام اللاحقِ مفارقٌ للعِياط في كلامِ السّابق، وإنْ كان بينهما أرومةٌ جامعةٌ.

- **القَزَم:**

وللقَزَم عند اللاّحق دلالةٌ تفترقُ عن دلالةِ السابق، فالقاف والزّايُ والميمُ كلمةٌ تـــدل على دناءةٍ ولؤمٍ، والقزمَ الدّناءة [٩٣]، وإذا ما جال الطرف مجاله في اللّسانِ في مضمارِ هذه المادّة فإنّه سيقف على:

- أن القَزَم اللئيمُ الدنيء الصّغيرُ الجثّة الذي لا غناءَ عنده.
- وأنّه يقال: شاة قَزَمة: رديئةٌ صغيرةٌ، وغنم قَزَم رُذال لا خير فيها.
- وأنّه يقال: رجل قزَمَة: قصير، والقَزَم: رُذال الناس وسَفلتهم.
- وأنّه يقال للرّذال من الأشياءِ : قَزَم.
- وقد جاء في الحديث الشّريف أنه كان – صلّى الله عليه وسلّم – يتعوذُ من القـــزمِ، وهـــو اللّـــؤم والشّح [٩٤]. أمّا القزم في عربيتنا المعاصرةِ فهو

---

٩٣. انظر: ابن فارس، المقاييس، مادة "قزم".

القــصير المفــرطُ في القِصرَ، والذي يظهرُ أنّها في كلام اللاّحق لم تعدْ مقتــرنةً بإيحــاءات سلبية، وظلال هامشيّة سوداويّة، بل اقترنتْ بدلالتها علــى الوصــف الجسديِّ، والذي يظهر أنّ عمادَ دلالتها في كلام السّابقِ يقــومُ علــى تقييــدَين: أولهما خَلْقي وآخرُ خُلُقي، أمّا الخَلْقي فهو اللؤمُ والــدّناءة، وهذا من الأصولِ المقيِّدة لدلالة "القزم" في كلامِ السّابق، وأمّا الخَلْقي فهو القصر. وهذا محدِّد هذه الدلالة في كلامِ اللاحق.

- **الكِشْرة:**

وفي تطورِ دلالة الكِشْرة إبانةٌ ظاهرٌ أمرُها عن الإشكال الذي يأتي من فهمِ اللّاحق لدلالاتِ السّابق كما يفهمُها في عصرِه ظانّاً أنّها عنده بالمعنى الحادث، وقد تجلّى هذا – من وجهةٍ محض تطبيقيّة – آنَ عرضي نصين ينتسبانِ إلى كلامِ السّابق، وفيهما تلكم الكلمةُ، على ثلةٍ من أبناءِ العربيّة الشّادين، فجنحوا كلُّهم إلى أنّ المتعيِّن منهما هو ما يشيعُ في الفهم اللّغويّ المعاصرِ المرادفِ للعبوسِ، والنّصّان أولهما حديثُ أبي الدّرداء: "إنا لنَكْشِر في وجوهِ أقوام، وإنّ قلوبَنا لَتَقْليهم "، والمعنى: لنبسُم في وجوههم، والثاني قول الشّاعر:

إن من الأخوان إخوانَ كِشْرة  وإخوانَ كيف الحالُ والبالُ كلُّه

والمعنى المتعيّن من الكِشْرة ظهورُ الأسنان للضّحك، فيقال: كاشرَه إذا ضحك في وجهِه وباسطَه [٩٥].

---

٩٤. انظر: ابن الأثير، النهاية، ٥٩/٤.

٩٥. انظر: ابن الأثير، النهاية، ١٧٦/٤، ابن منظور، اللسان، مادة "كشر"، والزمخشري، الأساس ، مادة "كشر".

ولـــيس يخفى أنّ الكشْرة في كلامِ اللاّحقِ تُضادُّ الكشرةِ في كلامِ السّابق؛ إذ إنّها، فيما تقدم، الضّحك وبدوّ الأسنان، ولعلّ تفسير هذا التّطور قائمٌ على النظر في مادة "كشر" برويةٍ ولطف نظرٍ كبيرين، فالأصلُ فيها "بدوّ الأسنان عند التبسُّم"، وقد ورد أنـــه يكون في الضّحك وغيرِه [٩٦] ، فالمتجهّم العابسُ قد تعتريه كشرةٌ، ولعلّ ممّـــا يزيدُ في تبصّرنا لاقتناص ذلكم التطوّر أنه يقال: كشَر السَّبع عن نابِه إذا هرّ للحِـــراش، وكَشَر فلان لفلانٍ إذا تنمر له وأوعده كأنه سَبُع [٩٧] ، ولعلّ ممّا يزيد من الإبانةِ عن احتمالِها المعنيين قولُ المتنبي:

إذا رأيتَ نيوبَ اللّيث بارزةً  فلا تظنّن أنّ الليثَ يبتسمُ

فـــبدوّها، إذاً، قد يكون للضحك، وقد يكون الأمرُ بالضدّ؛ أي للتجهّم والعبوسِ، والحق أن الذي يَرد على الخاطرِ أن مادّة "كشر" كانت عائمة الدّلالة تتسع للحالَين، وقـــد تقـــدّم المعجـــم العربيُّ معنى التبسّم في الوجهِ والمباسطةِ، ولكنّ هذه الدّلالةَ تطـــورت بالتخـــصيص فـــي كلامِ اللاحق، فاطُّرح من دائرتِها الدّلاليّة الضّحك أو التبسّم، وشاعتْ في أفهامِ اللاحق مقتصرةً على الزّمْجرة والعُبوس، مطّرِحة الضّحك والمباسطة.

- **الكنّة:**

الكنّة في كلام اللاحق يعتريها تخصيصٌ دلاليّ؛ إذ إنّ دائرتَها الدّلالية التي تتـــربّع عليها لا تشتمل على ما كانتْ تشتملُ عليه دائرتُها في كلامِ السّابق، فاليومَ

---

٩٦. انظـــر: الزمخـــشري، الأســـاس، مادة "كشر"، وابن منظور، اللسان، مادة "كشر"، والفيروز أبادي، القاموس مادة "كشر".

٩٧. انظر: ابن منظور، اللسان، مادة كشر".

تعنـــي امـــرأة الابن وجمعُها كَنائن، أمّا في كلام السّابق فإنّها تعني امرأةَ الابنِ أو امـــرأةَ الأخ، وهـــذا مـــا ذهـــب إلـــيه الأزهـــريّ والزمخـــشريّ وابـــنُ منظورٍ والفيروز أبادي [٩٨]، وممّا جاء بالمعنى الذي ليس للاّحقِ به عهدٌ حديث أُبيّ: "أنه قال لعمرَ والعبّاسِ وقد استأذنا عليه: إنّ كَنَّتكما كانت ترجِّلُني "، وقد فسّر ابنُ الأثيرِ هذا بقولِه "الكنة: امرأة الابن وامرأة الأخ، أرادَ امرأتَه، فسماها كَنَّتَهما، لأنه أخوها فـــي الإســـلامِ" [٩٩] ولعلّه لا يخفى على صاحبِ نظرٍ أنّ تعميماً دلاليّاً في استعمال الـــسّابق، وتخصيصاً في استعمال اللاّحق، واللافت للخاطر أنّ هذا التّخصيصَ قد انفرد به ابنُ فارسٍ في مقاييسِه فأشار إلى أنّها امرأةُ الابن [١٠٠].

- **الكَهل:**

كنتُ قد عرضتُ على طلبتي في الدّراسات الدّنيا هذه الكلمةَ ملتمساً منهم فضلَ بيانٍ يجلّي عُمرَ الكهل وإنْ على وجه الإبهام لا الإحكام، فجنحوا جميعاً إلى أنّ الكهل مَن ربَا على الستّين أو السّبعين، والحقّ أنّ ذلك ليس كذلك في المعجم العربيّ، وكنتُ قبلها قد أنعمتُ نظري في دلالتِها في كثيرٍ من معجماتِ العربيّة فألفيتُها على نحوٍ يفارقُ ما ران عليه إلفُنا اللغويّ المعاصر:

---

٩٨. انظـــر: الأزهـــري، الـــتهذيب، مادة "كنن"، والزمخشري، أساس البلاغة، مادة "كنن"، وابن الأثيـــر، الـــنهاية، ٢٠٦/٤، وابن منظور اللسان، مادة "كنن"، والفيروز أبادي، القاموس، مادة "كنن".

٩٩. انظر: ابن الأثير، النهاية ٢٠٦/٤.

١٠٠. انظر: ابن فارس، المقاييس، مادة "كنن".

- فالكهلُ عند ابنِ الأثيرِ في النّهايةِ مَن زاد على ثلاثين سنةً إلى الأربعين، وقيل من ثلاثٍ وثلاثين إلى تمام الخمسين [١٠١].
- وقيل الكهل من الرّجال الذي جاوز الثّلاثين ووخطه الشّيبُ [١٠٢].
- ويقال له كهل لانتهاء شبابه وكمال قوّته [١٠٣].
- وقيل رجل كهل وامرأةٌ كهلةٌ إذا انتهى شبابُهما، وذلك عند استكمالِهما ثلاثاً وثلاثين سنةً [١٠٤].
- وأحسبُ أنّ عند ابن فارس الخبرَ اليقين في تفسير معنى الكهولةِ، فقد أشار إلى أنّ الكاف والهاء واللام أصلٌ يدل **على قوّة الشّيء أو اجتماع جِبِلّة**، ومن ذلك الكاهلُ، وهو ما بين الكَتفين، وقد سمّي بذلك لقوته، ويقال للرّجل المجتمعِ إذا وخطه الشّيب: كَهل [١٠٥]، والمعنى: نما واجتمعتْ قوّته، وهذا يكونُ بعد الثّلاثين والأربعين، ولا يكونُ بعد الستين أو السبعين؛ إذ لا مُعَمَّر يتغافلُ عنه الزّمان، ويسند هذا قولهم: اكتهل النّبت، "فإنّما هو تشبيهٌ بالرّجل الكهلِ، واكتهالُ الرّوضة أنْ

---

١٠١. انظر: ابن الأثير، النهاية،٤/٢١٣.

١٠٢. انظر: الجوهري، الصحاح، مادة "كهل".

١٠٣. انظر: الأزهري، التهذيب، مادة "كهل".

١٠٤. انظر: ابن منظور، اللسان، مادة "كهل".

١٠٥. انظر: ابن فارس، المقاييس، مادة "كهل".

يعمّها النَّور" [١٠٦] ، وقد جاء في اللّسان: اكتهل النّبتُ إذا طال وانتهى منتهاه، أو تمّ طولُه، وأظهر نَوره [١٠٧].

- **اللَّفح:**

يشيعُ في عربيتنا المعاصرةِ قولُنا: "لفحه الهواء"، واللّفح، وهو تعبيرٌ مؤدّاه إلى وصفِ عرضٍ من أعراضِ الزّكام والبرودة، ولكن التّنْقير في المعجم العربيّ في مضمارِ هذه المادة يؤذنُ بالوقوفِ على تطوّر دلاليٍّ ظاهرٍ أمرهُ، فليس اللّفْحُ بضميمٍ لفظيٍّ للبردِ، ولا بمقترنٍ به ثمّ؛ إذ إن الأمر بالضّدّ، والذي ورد فيه أنّ اللّفحَ مقترنٌ بالنار والسّموم [١٠٨]، فنقول: لفحتهُ النار تلفحهُ إذا أصابت وجهه أو أحرقته بحرها، ومن الأمثلة المجلّية لاقترانها بالنار سياقان شريفان؛ أولهما قوله – تقدّس اسمُه – في التنزيل العزيز: "تلفحُ وجُوهَهم النار" [١٠٩]، وثانيهما ورودها في حديث الكسوف: "تأخرتُ مخافةَ أن يصيبني من لفحِها" [١١٠]، أي حرّها ووهَجها.

---

١٠٦. ابن فارس، المقاييس، مادة "كهل".

١٠٧. انظر: ابن منظور، اللسان، مادة كهل".

١٠٨. انظر: ابن فارس، المقاييس، مادة "لفح"، والزمخشري، الأساس، مادة "لفح"، وابن الاثير، النهاية، ٤/٢٦٠، وابن منظور، اللسان، مادة "لفح".

١٠٩. الآية (المؤمنون، ١٠٤).

١١٠. ابن الأثير، النهاية ٤/٢٦٠.

إخـــالُ أنّ التطورّ قد بدا جليًا من العرضِ المتقدّم، فاللفحُ في العربيّة مقترنٌ بالنّار والسموم، وقد فرّق اللغويون بين هواءِ "لفح" الحر والبردِ، أمّا الحر فهو ما عليه عَقدُ الباب"اللّفْح"، وأمّا البَرد فليس من اللفح في شيء، بل هو"النَّفح"(١١١)

- **النَّكهة:**

والنكهة في كلامِ السّابق ليستْ كالنّكهة في كلام اللاّحق؛ إذ إنّها تشيع اليومَ فـــي عـــربيّتنا المعاصرةِ بمعنى "المذاق"، وقد يقترنُ المذاق بالرّائحة، والحقّ أنني ســـاءلت ثلّة من طلاّب العربيّة الشّادين في دلالة النّكهة ، فجنحوا إلى أنّ المتعيّنَ منها المَذاق، وانفرد واحدٌ منهم بأنها مزيجٌ من المذاقِ الطّيّبِ والرائحة الزكية، ولمّا راجعتُها في اللّسان ألفيتُها دالّة في أصلها على ريح الفم فقط (١١٢) ، وممّا جاء من كلامِ العرب يعضدُ هذا المعنى ما تمثله الجوهريُّ في صحاحه:

نَكِهتُ مجالداً فوجدتُ منه كريح الكلبِ ماتَ حديثَ عَهد(١١٣)

وقول الآخر:

يقولون لي : انْكه قد شربت مدامةً فقلتُ لهم لا بلْ أكلتُ سَفْرجلا

وبالفَـــيء علـــى هذا المتقدّم يغدو المعنى:نَكَهَه واستنكهه: شمّ رائحةَ فيه، والاســـمُ الـــنّكهة، ونَكَـــهَ: إذا أخرج نَفَسَه إلى أنفي، وقد جاء في حديثِ

---

١١١. انظر: الزمخشري، الأساس، مادة "لفح"، وابن منظور، اللسان، مادة "لفح".

١١٢. انظـــر: الزمخـــشري، الأساس، مادة "نكه"، وابن الأثير، النهاية، ١١٧/٥، وابن منظور، اللسان، مادة "نكه"، والفيروزأبادي، القاموس ، مادة "نكه".

١١٣. انظر: الجوهري، الصحاح، مادة "نكه".

شـــارب الخمر: استنكهوه، أي شمّوا نكهته ورائحةَ فيه، ليُعلم أشاربٌ هو أم غيـــرُ شـــارب [١١٤] ، وإخـــالُ، بعـــد هذا العرضِ الدّالّ على دلالة الـــنكهة، أنّ تطوراً دلاليّا مؤتلفاً من أطوار متعاقبة قد اعتراها، فالأصلُ المتقادمُ ريحُ الفم، ثم أصبحتْ في كلامِ اللاّحق دالّة على الرائحة ممزوجةً بالمـــذاقِ، ولـــم تعـــد مقترنةً برائحةِ الفم، بل برائحة الشّيء أو الطعام، فصرنا نسمعُ أو نقرأ على علبِ بعضِ المُنتجات: مذاقُ النّكهة المميَّزة.

- **الوجوبُ:**

يلفي المرءُ في ثنْي وقوفه عند مادّة "وجب"، معاني متعدّدةً تكتنفُ هذا الأصـــلَ العـــريض، ومِـــن أجلاها وأعرفها اللّزومُ، فيقال وجَبَ الشّيءُ وجـــوباً إذا لزم، وحقّك عليّ واجبٌ، والموجبة، الكبيرةُ من الذنوبِ التي يستوجَب بها العذابُ، وقيل تكونُ مِن الحسناتِ والسيّئات، فقد ورد حديثٌ شـــريفٌ مفادُه: "اللهمّ إنّي أسألك موجباتِ رحمتِك، [١١٥] ووَجب الرّجلُ وجوباً: إذا مات، والواجبُ الميّت والوجبةُ: السّقطة مع الهدّة.

يظهرُ للمتبَصِّر في هذه المادةِ أن ثمّ تطوراً دلاليّاً وقع فأفضى إلى تغيّـــرِ دلالـــتِها، بل أفضى هذا، في عُمرِ العربيّة المتقادم، إلى أنْ يغدوَ

---

١١٤. انظر: ابن الأثير، النهاية، ١١٧/٥، وابن منظور، اللسان، مادة "نكه".

١١٥. انظر: ابن منظور، اللسان، مادة "وجب".

الأصـــلُ فرعاً، والفرعُ أصلاً، وقد تجلّى هذا إذ استفتح ابنُ منظورٍ مادّة "وجب" بذكر المعنى الحادثِ، ثمّ ثنّى بعد تعريجه على معاني هذه المادّةِ بذكـــرِ الأصـــلِ المـــتقادمِ الـــذي يـــدلُّ علـــى الـــسُّقوطِ، وقـــد التمس الزمخـــشريُّ [١١٦]، وابـــنُ الأثيـــرِ [١١٧] وابن منظورٍ الأصلَ الدلاليَّ العـــريضَ مـــشيرين إلى أنّ "أصل الوجوب: السقوطُ والوقوعُ، ووجب المـــيّتُ إذا سقط ومات، ويُقال للقتيلِ واجب" [١١٨] ومما يعضدُ هذا المذهبَ، مذهبَ مَن تقدّم ذكرُهم ، إلماحةُ ابن فارسٍ المُعجبةُ في مقاييسه إلى أنّ الواوَ والجيمَ والباءَ أصلٌ واحدٌ يدلّ على سقوطِ الشّيءِ ووقوعِه، ثمّ يتفرّع [١١٩].

ممّا تقدم آنفاً يغدو بِمُكنتنا تلمّسُ هذا الخيطِ الجامع الذي ينتظمُ عقد هـــذه المادّةِ بأطوارِها الدّلاليةِ، فالموجِبةُ، إن حسنةً وإنْ سيئةً، هي الفعلة التـــي تستدعي نزول رحمةٍ، أو عذاب بئيسٍ، ووجْبُ الحائط أو وَجبَتُه: ســـقوطُه، وأوجـــبت عليه كذا، إذا ألزمتُه وفرضته، فكأنك أسقطتَ عليه الحكـــمَ أو الفـــرضَ، والوَجْبُ هو الجبانُ، وقد أُسْبِغت عليه هذه الصّفةُ

---

١١٦. انظر: الزمخشري، الفائق، ٤٣/٤.

١١٧. انظر: ابن الأثير، النهاية ١٥٤/٥.

١١٨. انظر: ابن منظور، اللسان، مادة "وجب".

١١٩. انظر: ابن فارس، المقاييس، مادة "وجب".

تشبيهاً له بالسّاقط [١٢٠] ، ووجيبُ القلبِ: كلّ ذلك اعتبارٌ بتصوّرِ الوقوعِ فيه [١٢١] .

لعلّــه يحــسنُ، بعدَ هذا العرضِ المتقدّم بيانُه، الإشارةُ إلى ثلاثةِ ملاحظَ، أولّها أنّه يتبدّى أنّ المرءَ يقفُ على دلالتين لتلكم المادّةِ: واحدةٍ مــتقادمة، وأخرى حادثة، وثانيها: تنبُّه القدماء المُلمِح إلى الأصل الدّلالي العــريض الــذي اعتراه تطوّرٌ أذِنَ بنقلِ هذه الدّلالة، وثالثُها أنّ اللافت للخاطِــر أنّ تلكــم الدّلالة المادّية العتيقة قد وردتْ في نصوصِ العربيّةِ، كالتنزيلِ العزيزِ، والحديثِ الشّريف، وما يُحتَجّ به من شِعرٍ:

أمّا في التنّزيل العزيزِ فقولُه – تقدّس اسمُه – في حقّ البُدن: "فإذا وجــبتْ جنوبها فكلوا منها" [١٢٢] ، وقد جنح أبو عبيدةَ في مجازه إلى أنّ المتعــيّن مــنها: سقطتْ إلى الأرض، ومنها وجوبُ الشّمس إذا سقطتْ لتغيبَ [١٢٣] ، وتابعه على هذا ابن قتيبةَ في غريبِه [١٢٤] ، والسّجستانيُّ

---

١٢٠. انظر: ابن فارس، المقاييس مادة "وجب"

١٢١. انظر: الراغب، المفردات، ٥٨٣.

١٢٢. الآية (الحج، ٣٦).

١٢٣. انظر: أبو عبيدة، المجاز،٥١/٢

١٢٤. انظر: ابن قتيبة، الغريب،٢٩٣.

فـــي نزهةِ القلوبِ [١٢٥] ، ومكيّ في عمدتِه [١٢٦] ، والرّاغبُ الأصفهانيُّ في مفرداتِه [١٢٧] ، وأبو حيّانَ في البحرِ المحيط [١٢٨] .

أمـــا فـــي الحديثِ الشّريف فمنه حديثُ الضّحية: "فلما وجبتْ جنوبُها "، أي ســـقطتْ إلى الأرض، لأنّ المستحبَّ أنْ تُنْحر الإبلُ قياماً معلّقة [١٢٩] ، وفي حديثٍ آخرَ شريفٍ، رُوي أنّه – صلى الله عليه وسلّم – عاد رجلاً فوجده قد غُلِب، فصاح النّـــساءُ وبَكين، فجعل آخرُ يسكتهنّ، فقال – صلى الله عليه وسلم – : "دعهنّ، فإذا وجب فلا تبكينّ باكيةٌ" [١٣٠] أمّا في الشّعرِ فقد قال قيسُ بنُ الخطيم:

أطاعتْ بنو عوفٍ أميراً نهاهُمُ  عن السّلم حتّى كان أول واجبِ [١٣١].

- **المتّكئ:**

لعـــلّ أوّل مـــا يـــولَج بالمعالجـــةِ في هذه المادةِ الإشارة إلى تباينِ المعجميّين في بيانِ جذرِها ، فقد ورد عليها ابن فارس في بابِ "وكا"، أما ابن الأثير والرّاغبُ فقد جعلاها تقع تحت مادة "تكأ"، واللافت للخاطرِ أنّ

---

١٢٥. انظر: السجستاني، النزهة،٤٦٥.

١٢٦. انظر: مكي، العمدة، ٢١٣.

١٢٧. انظر: الراغب، المفردات، ٥٨٣.

١٢٨. انظر: أبو حيان، البحر، ٣٢٤/٦.

١٢٩. انظر: ابن الأثير، النهاية، ١٥٤/٥.

١٣٠. انظر: الزمخشري، الفائق، ٤٥/٤، وابن الأثير، النهاية، ١٥٤/٥.

١٣١. انظـــر الـــشعر: ابـــن فارس، المقاييس، مادة "وجب"، والزمخشري، الفائق، ٤٣/٤، وابن منظور، اللسان، مادة "وجب".

دلالــة المتكــئ يعتــريها تطور دلاليٌّ متقادم شكا منه ابنُ الأثير، وتابعه عليه ابن مــنظور، فقد ورد عن العرب أنه يقال:توكأ على الشيءِ واتكأ إذا تحمَّل واعتمد، والــتُّكأة: كثيــرُ الاتكاء، والمفارقةُ اللطيفةُ تتجلى في تعيين هيئة "المتكئ"؛ إذ إنَّها مفارقــةٌ لمــا نعهدهُ من هيئةٍ يميلُ فيها القاعد معتمداً على أحد شقَّيه، وهذا مذهبُ العامّة الذي أشار إليه ابنُ الأثير(١٣٢)، ولكنّ المتّكئ في كلامِ العرب الخُلَّص: "كلّ مَن استوى قاعداً على وطاءٍ متمكنًا، والعامّة لا تعرفُ المتكئ إلاّ من مالَ في قعوده معتمداً على أحد شقَّيه (١٣٣)، والحقّ أنّ هذا الذي تقدّم يثيرُ في النّفس ثلاثةَ ملاحظَ أولّها استدراكٌ، وثانيها تبيانٌ، وثالثها إشكالٌ:

- أمّــا الاســتدراك فمضمارُه الإلماحةُ إلى أنَّنا اليومَ لا نعرف المتكئ إلا كما عــرفه العامَّة قبلاً، وهم الذين أشار إليهم ابنُ الأثير، فهذا إذاً تطوّر دلاليٌّ عتيقٌ ليس بحادثٍ في عربيّتنا المعاصرة.
- أمّا التّبيان فمضمارُه بيانُ دلالة الجذرِ المكتنف كلمةَ "المتكئ"، فقد قيل إنَّ التّاء فيه بدلٌ من الواو، وأصلُه منَ "الوكاء"، وهو ما يُشدُّ به الكيس ونحوه، فكأنَّ المتّكئ في كلامِ السّابقِ أوكأ مَقعدتَه فشدّها بالقعودِ على الوطاء الذي هــو تحته (١٣٤)، ويسند هذا إلماحةُ ابن فارسٍ إلى أنّ مادّة "وكا" تدلّ على

---

١٣٢. انظر: ابن الأثير، النهاية، ١٩٣/١.

١٣٣. ابن الاثير، النهاية، ١٩٣/١، وابن منظور ، اللسان، مادة "وكأ".

١٣٤. انظر: ابن الأثير، النهاية، ١٩٣/١، وابن منظور، اللسان، مادة "وكا".

شدّ شيء وشدةٍ [١٣٥]، وهذا ممّا لا يكون في قَعدة المتّكئ المسترخي بلغةِ العامّة واللاحق.

- أمّـا الإشـكالُ فمردّه إلى أنْ يفهم اللاّحقُ كلامَ السّابق في عصرهِ بالفهم الحادث، وقد وقع ذلك حقًّا في اقتناصِ المتعيِّن من قول الرّسول الكريم – صلّى الله عليه وسلّم:- "إني إذا أكلتُ لم أقعد متمكّنا"، وقد ذُهِب في فهم دلالـة المتّكـئ في هذا السّياقِ الشّريف إلى الوجهَين؛ الدّلالةِ المتقادمة، والدّلالةِ الحادثة، فمن حمله على المَيلِ إلى أحد الشّقّين تأوّله على مذهبِ الطّـب، فإنّـه لا ينحدرُ في مجرى الطّعام سهلاً، ولا يسيغُه هنيئاً، ومن حملـه بالمعنى المتقادمِ، فقد ذهب إلى أنّه لا يريدُ الاستكثار منه، ولكنّه يأكـلُ الـبُلْغة، وعـند هـذا يكـونُ القعـودُ للطّعام قعودَ المستوفزِ لا المسترخي [١٣٦].

- **مستصفى ما تقدم:**

وبعدُ؛ فماذا عسى أنّ أقول؟ أقولُ إن ما تقدّم قليلٌ من مجموعٍ متكاثر، فالمذياع في كلام السّابق ليس كالمذياعِ في كلامِ اللاّحق،؛ إذ إنّه عندَ الأولِ الذي لا يكتمُ سرّاً أبـداً، ولـيس يخفى أنّ هذه الكلمةَ قد جاءتْ في صيغةِ "مِفْعال" الدّالةِ على المبالغةِ وكذلك "التّخت"، فإنْ ورد عليه اللاّحقُ بالمعنى الذي يحتكمُ إليه في تواصله اليوميّ، وإلْفـه اللّغويّ المعاصرِ، فإن حظّه من التّواصل سيكونُ خافتاً بل مُطَّرَحاً؛ ذلك أنّ التّخت في كلام السّابقِ وعاءٌ تصانُ فيه الثّياب، وأين اليومُ مِن الأمسِ؟؟؟

---

١٣٥. انظر: ابن فارس، المقاييس، مادة "وكا"

١٣٦. انظر: هذين المعنيين: ابن الأثير، النهاية،١٩٣/١، وابن منظور، اللسان، مادة " "تكأ".

والـصَّهريج اليومَ ليس كالصَّهريج أمسِ، وإنْ كان بينهما لُحمةٌ وتعالق؛ إذ إنَّه عند الـسّابق كالحـياضِ يجتمعُ فيها الماءُ، والزَّغردة عند السّابقِ هديرٌ يردِّده الفحلُ في حلقـه (١٣٧) ، والتّلامـيذُ عـند السّابقِ الخدمُ والأتباعُ، وهي عند اللاحقِ مرادفةٌ للطـلاّب(١٣٨) ، والعَربَةُ عنده السّفنُ الرّواكد، وجمعُها عَربات (١٣٩) ، والشَّنب عند الـسّابقِ تحزيزُ أطرافِ الأسنانِ، أو صفاؤُها، أو تفليجُها، أو طيبُ نكهتِها، أو البردُ والعذوبةُ في الفم (١٤٠) ، وهي عند اللاّحق مرادفةٌ للشّارب أو تكادُ تكونُ، والحَلْبة في كلام السابق الدّفعة من الخيل في الرِّهان خاصّة، وقيل هي الخيلُ تُجمع للسِّباقِ من كـلّ أوبٍ لا تخـرج من موضعٍ واحدٍ (١٤١) ، وما كان أنأى دلالة اليوم عن دلالة الأمـس، فهـي دالة – ولا ريب في ذلك – على المكان الذي تعقد فيه المباراة أو السباق، والفَشْخ في كلام السّابقِ اللّطمُ والصّقعُ في لعبِ الصّبيان، والكذبُ فيه (١٤٢) ، وهـي اليوم بمعنى شجِّ الرّأس بحجرٍ أو نحوه، والبَخْع القتلُ غيظاً وغمّاً، ومنه قـولُ الحقّ – تقدس اسمُه – : "فلعلّك باخع نفسك على أثارِهم" ، والمعنى : فلعلّك قاتلٌ نفسك ومُخرجها (١٤٣).

---

١٣٧. انظر: ابن منظور، اللسان، مادة "زغرد".

١٣٨. انظر: ابن منظور، اللسان، مادة "تلمذ".

١٣٩. انظر: ابن منظور، اللسان، مادة "عرب".

١٤٠. انظر: ابن منظور، اللسان، مادة شنب".

١٤١. انظر: الأزهري، التهذيب، مادة "حلب"، وابن منظور، اللسان، مادة "حلب".

١٤٢. انظر: ابن منظور، اللسان، مادة "فشخ".

١٤٣. الآية (الكهف،٦)، وانظر: ابن منظور، اللسان، مادة "بخع".

وليس يذهبُ بالقارئِ الظّنُّ إلى أنّ الباحثَ يصرِّح أو يلمحُ إلى أنّ التّواصـــلَ بين السّابق واللاّحق مغيَّبٌ أو متعذِّر، أو أنّ للاّحق لغةً ليست كلغةِ السابق البتّةَ، أو أن هذه العربيةَ تعجزُ عن الوفاءِ بالقصدِ الأوّل من اللغـــةِ، وهـــو التّواصل، بل الأمرُ بالضّد، فالعظيمُ – تقدّس اسمُه – تعهَّد التّنزيل العزيزَ بالحفظِ، وانبنى على ذلكم العهد – وإنه لعهدٌ لو نعلمُ عظيمٌ – أنْ يحفظَ اللّغة التي نزل بها، والقصدُ من هذا المتقدّم بعد هذا العرضِ يسيرُ في ستِّ شعبٍ:

**أوّلهـــا:** أن العـــربيّة ليست بدعاً بين اللّغاتِ في هذه الجهة، وقد وردت شكايةٌ من صعيدٍ غربيٍّ جأر بها أولمان، وقد كان مردُّها إلى تحسّسه هذا التفاصلَ المتخلّقَ من الـــتطوّرِ الدلاليِّ، وانزياحِ الألفاظ المُعمرة عن دلالاتها المُتقادمة، "ولو قمنا بمقارنة كاملة بين فترتين متباعدتين لَتَكَشَّفَ لنا الأمرُ عن اختلافاتٍ عميقة كثيرة من شأنها أنْ تُعـــوِّق فهمَ المرحلة السابقة وإدراكها إدراكاً تاماً، فممّا لا شكّ فيه أنّنا في حاجةٍ إلـــى اســـتعدادٍ لغـــويٍّ خـــاصٍّ كـــي نـــتمكّنَ من فهمِ الملحمة الإنجليزية القديمة "Beowulf" مـــثلاً، أو أنْ تـــتذوّقَ أســـاليبَ النّثـــرِ فـــي عهـــدِ الملـــكِ ألفـــريد "king Alfred" [١٤٤].

**وثانـــيها:** أنّ العـــربيّة لها فَرادةٌ تقدّم الإلماحُ إليها؛ ذلك أنّها لغةٌ عتيقةٌ معمَّرة ذاتُ ألفاظٍ متقادمة، وقد كان للتنزيل العزيزِ – وما زال – سُهمة كبرى في الحفاظ على صورتها الكلِّيّة، وبنْيتها المؤلِّفة.

---

١٤٤. أولمان، ستيفن، دور الكلمة، ١٧٠.

**وثالـــثها:** التَّعريجُ على فجوةٍ كبيرةٍ في بنية الدَّرس المعجميِّ، ومنها يتخلَّق الإشكالُ الـــذي يمكـــنُ أنْ نقـــفَ عندَه، فالعربيّة ما زالتْ تنتظرُ ثلّةً من أبنائها صالحةً تتهدُ لصناعة المعجمِ اللُّغوي التّاريخيّ الذي يسيرُ مع الكلمةِ عصراً بعد عصر مستشرفاً أطوارَها، مقتنصاً تطوّرها متتبعاً سيرتَها.

**ورابعها:** أنني إخالُ أنّ بابَ القولِ على هذا المبحثِ يتصلُ بنسبٍ حميمٍ إلى مطلبٍ بلاغي عنوانُه المجازُ، وليس يذهبُ بالقارئِ الظّنُّ ثانيةً وثالثةً إلى أنّ الباحثَ يومئ إلـــى درسِ الـــبلاغة؛ ذلك أن تطوُّر الدلالةِ قد كان مجازاً حيّاً لحظةَ وقوعِه، ولكنّ سيرورتَه، وتطاولَ العُمرِ به، وغلبته، إنْ على صعيدِ الشّفاه، أو على صعيد الأقلام؛ كـــلُّ ذلك أفضى به إلى أنْ يلحقَ بركبِ الحقيقة، ولنا أنْ نسترفد في هذا المقامِ قولةً تُنسَب إلى ابن جنّي مأثورةً، وهي ذاهبةٌ إلى أن المجازَ إذا كثر لحق بالحقيقة، فليس يصـــحّ فـــي الفهمِ ولا يستقيمُ أنْ يقالَ إنّ الرّشوة اليومَ مجازٌ، وإنّ الصفقة والدّماثة كـــذلك أمرهُما، بل الأمرُ بالضّد، ولعلّ القولَ الفصل – من وجهة ثانية- يكونُ في اســـترفادِ بعض الأنظارِ اللّسانيّة الحديثةِ الذاهبةِ إلى ثلاثة مذاهبَ في تقسيمِ المجازِ، فقـــد مُيّـــز بين ثلاثة أنواعٍ أوّلُها المجازُ الحي، وثانيها المجازُ الميّت، وثالثُها النّائم الذي يتردّدُ بين بين [١٤٥]، وكلّ ذلكم المخوضِ فيه في هذه الورقةِ ممّا ينتسبُ إلى المجازِ الميّت.

**وخامســـها:** أنّ عمـــادَ المباحثات المتقدّمِ بيانُها، الخائضة في الوقوفِ عند مُثُلٍ من الـــتطور الدلالـــي، قائمٌ على ثلاثةِ ملاحظَ، أوّلها "الأصلُ"، وثانيها "النقلُ"، وثالثُها

---

١٤٥ . انظر، Waldron, R.A,Sense and Sense Development, London,1967, 162-179,
وانظر: أحمد عمر، علم الدلالة، ط٣، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٤م، ٢٤٢.

"الوصـــلُ". أما "الأصلُ" فقد بدا أنّ ثمّ أصلاً في اللّغةِ يتخلّق منه معنى آخرُ حادثٌ، ومـــن ذلك الوجوب أصلُه السّقوط، والتابوت عند السّابق الصندوق، والأثاثُ المالُ أجمـــع: الإبلُ، والغنمُ، والمتاعُ، والعبيدُ، أما "النقّل" فعمادُه أنّ دلالة السّابقِ واللاّحقِ تتّصلان بنسبٍ حميمٍ، وعلاقة جامعةٍ، والذي يحدثُ، أو حدثَ في المُثُلِ المذكورةِ في ثنْي صفحاتِ البحثِ، هو تطوّرُ دلالةِ الكلمةِ، وانتقالُها من حقلٍ إلى آخرَ للدّلالةِ على معنـــى جديـــدٍ ذي نسبٍ جليٍّ بالأوّل. أما "الوصلَ" فهو كالخيطِ الجامع الذي ينتظمُ حـــبّاتِ العقدِ الواحدِ، فبين الأصلِ والنّقلِ يتعيّنُ وجودُ الوصلِ، وهو المعنى الجامعُ الذي يُؤذِن بتطورِ الدّلالةِ، وانتقالِها من مضمارٍ إلى مضمارٍ، ولعلّ هذا قد وُسِم في الـــبلاغةِ العربيّةِ بالمناسبةِ؛ إذ إنّ المجازَ هو اللفظُ المستعملُ في غيرِ ما وُضِع له أوّلاً لمناسبةٍ بينهما [١٤٦]، وبعبارةِ الكفويِّ الدّالةِ على "الوصل" في تعريف المجاز: "هـــو اســـمٌ لمـــا أريد به غيرُ موضعه لاتّصالٍ بينهما" [١٤٧]، والمناسبةُ تلك، أو الاتّـــصال ذاك، هو حلقة وصلٍ جامعةٍ بين الدّلالةِ المتقادمةِ والدّلالةِ الحادثةِ ؛ بين دلالـــة السّابق ودلالة اللّاحق، ولعلّ هذا يفضي إلى الإشارةِ إلى أنّ القدماءَ كانوا قد التفـــتوا إلى ملحظِ التطوّرِ الدّلاليِّ عامّة، وموضوع هذه الورقةِ خاصّة، إنْ بالمثالِ، وإنْ بالتّنظيـــرِ، وفي مصنّفاتهم ما يومئ بأنّ لديهم مجموعاً متكاثراً من المُثُلِ التي نبّهوا على تطوّرِ الدّلالةِ، لنَرْجِعِ النّظر في قولِ ابن قتيبةَ : " والعرب تسمّي الشّيء باسم الشّيء إذا كان مجاوراً له، أو كان منه بسببٍ على ما بيّنتُ لك في بابِ تسميةِ

---

١٤٦. انظر: ابن أبي الإصبع، بديع القرآن، ١٧٦.

١٤٧. الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى (١٠٩٤ هـــ)- الكليات، تحقيق عدنان درويش، ومحمد المصري، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م، ٨٠٤.

الـشيء باسـم غيـره [148]، وكذلك قولُه في سياق آخرَ: فالعربُ تستعيرُ الكلمةَ فتـضعُها مكـان الكلمـةِ إذا كان المسمَّى بها بسببٍ من الأخرى أو مجاوراً لها أو مشاكلاً [149]، وقولُ ابن السيِّد: "كما يسمّى الشّيءُ باسمِ الشيءِ إذا كان منه بسببٍ [150]، وقـولُ ابن الأثير في النّهايةِ: فاستعملوا لفظ السّببِ في موضعِ المسببِ حتى صار به أشهرَ" [151].

**وسادسها**: وصيّةٌ إلى مدرِّسي علم الدّلالةِ عامّةً، والمعجم العربيّ خاصّةً، بأنْ ينبّهوا على مثلِ هذه المواضعِ في محاضراتِهم تخفيفاً لهذا الإشكالِ، وأنْ يخصّصوا مساقاتٍ تعنى بشأنِ التطورِ الدّلاليِّ من وجهة تطبيقيّة للوقوف على ما يمكنُ أنْ يقفَ عليه الباحثون؛ إنْ طلاّباً، وإنْ مدرِّسين وفاءً بسيرورةِ التّواصل، واستشرافاً للتطورِ الدّلالـي، واقتـراباً مـن تعيينِ دِلالات السّابقِ ومقاصدِه، وتأسيساً وتعزيزاً لفكرةِ المأمولِ المُنتَظر، وهو المعجمُ اللّغويّ التاريخيُّ.

## والحمدُ لله في بدءٍ وفي ختَمٍ

---

١٤٨. ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (٢٧٦هـ) أدب الكاتب، شرح علي فاعور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،،١٩٩٨م٢٣.

١٤٩. ابـن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٣م، ١٣٥.

١٥٠. ابن السيد، عبدالله بن محمد البطيوسي (٥٢١هـ)، الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق مصطفى السقا وحامد عبدالمجيد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠م، ٢٧/٢.

١٥١. ابن الاثير، النهاية، ٣٥٧/٤.

## المصادر والمراجع:


إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦.

ابـــن الأثيـــر مجد الدين أبو السعادات، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق أحمد الزاوي ومحمود الطناجي، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٣م.

أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ط٣، عالم الكتب ، القاهرة، ١٩٩٢م.

الأزهـــري، أبـــو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام هـــارون، مراجعة علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٤م.

ابـــن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق حاتم الضامن، ط٢، دارالشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٩م.

أولمـــان، ســـتيفن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٦٢م.

الجـــاحظ، أبوعـــثمان عمـــرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هارون، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٦٠م.

الجوهـــري، أبـــو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح، (تاج اللغة وصحاح العـــربية)، تحقـــيق أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٦م.

جيـــرو، بييـــر، علم الدلالة، ترجمة منذر عياشي، ط١، دار طلاس للنشر، دمشق، ١٩٩٢م.

حلمـــي خلـــيل، الكلمة: دراسة لغوية معجمية، ط٢، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢م.

- أبـــو حـــيان، محمـــد بـــن يوسف، تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.
- ابن دريد، أبو بكر بن الحسن، جمهرة اللغة، ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٣٤٥هجرية.
- الـــراغب، أبو القاسم حسين بن محمد، معجم المفردات في غريب القرآن، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، أساس البلاغة، دار الفك ر، بيروت، ١٩٨٩م.
- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفك، القاهرة، ١٩٧٧م.
- السجـــستاني، أبـــو بكر محمد بن عزيز، نزهة القلوب في تفسير القـــرآن العـــزي، تحقـــيق يوسف المرعشلي، ط١، دار المعرفة، بيروت ١٩٩٠م.
- ابـــن الـــسراج، ابـــو بكر بن محمد، الاشتقاق، تحقيق محمد علي الدرويش ومصطفى الحدري، (د.ن)، دمشق، ١٩٧٢م.

- ابن السيد، عبدالله بن محمد البطليوسي، الاقتضاب في شرح ادب الكـــتاب، تحقـــيق مصطفى السقا وحامد عبد المجيد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٠م.
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر، المزهر في علوم اللغـــة وأنـــواعها، تحقيق محمد احمد جاد المولى وعلي البجاوي وحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، القاهرة (د.ت).
- الطبـــري، أبـــو جعفـــر محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القران، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨م.
- ابـــو عبـــيدة، معمـــر بن المثنى، مجاز القران، تحقيق محمد فؤاد سزكين، محمد الخانجي، القاهرة، ١٩٦٢م.
- ابن فارس أبو الحسين احمد بن فارس، الصاحـــــبي في فقه اللغة العـــربية، ومسائلها وسنن العرب العرب في كلآمها، تحقيق عمر الطباع، ط١، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٩٣م.
- ابن فارس ابو الحسين احمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ط١، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.
- الفـــراء، أبـــو زكريا يحيى بن زياد، معاني القران، تحقيق أحمد نجاتي، ومحمد النجار، الدار المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م.

- فـــندريس جوزيـــف، اللغة ترجمة عبدالرحمن الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٠م.
- ابـــن قتيبة، أبو عبد الله بن مسلم، أدب الكاتب، شرح علي فاعور، ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد احمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٣م.
- ابـــن قتيـــبة، أبـــو محمد عبد الله بن مسلم، تفسير غريب القرآن، تحقيق السيد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.
- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات تحقيق عدنان درويش، ومحمد المصري، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.
- محمـــد ربـــاع، انحسار الأصول وانتشار الفروع في نحو العربية وجملهـــا، بحـــث في كتابه <دراسات لغوية"، دار الفلاح، عمان، ١٩٨٨م،٧١ – ١١٤.
- محمد العدناني، معجم الأخطاء الشائعة، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٣م.
- مكـــي بـــن أبـــي طالب، العمدة في غريب القرآن، تحقيق يوسف المرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م.

- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب ، ط١، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- مهدي عرار، أثر استشراق التطور الدلآلي في فهم النص القرآني: نماذج جزئية وموجهات كلية، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عمان ٢٠٠٢م.
- مهـدي عـرار، جـدل اللفـظ والمعنى: دراسة في دلالة الكلمة، العربية، دار وائل، ط١، عمان ٢٠٠٢م.
- مهـدي عرار ظاهرة اللبس في العربية بين الثبوت والتحول: مثل مـن ظاهرة الإضافة، حوليات الجامعة التونسية، ع١٣، ١٩٧٦م، ٧-٥٥.
- الهـروي، أبـو عبيد القاسم بن سلام، غريب الحديث، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٨٦م.